مصادر الموروث الشعبي في التراث العربي

د. محمد رجب النجار

مدخل

١ ـ الفرق بين التراث والمأثورات:

يشكل التراث الشعبي جزءاً لا يتجزأ من التراث العربي المدون، غير أن هذا التراث الشعبي ينقسم ـ بدوره ـ قسمين كبيرين، أحدهما لا يزال ـ بوظائفه الحيوية، الفكرية والنفسية والجمالية ـ حياً فاعلاً ومؤثراً في بنية الفكر العربي، وهذا هو ما يسميه علماء الفولكلور بالمأثورات الشعبية، أما القسم الآخر، فهو هذا الجزء من المادة أو العناصر الفولكلورية التي تحجرت أو توقفت وظائفها منذ زمن بعيد، وتحولت إلى مجرد «رواسب ثقافية» احتفظت بها كتب التراث العربي، ولم تعد لها من قيمة سوى قيمتها التاريخية، وقد أطلق عليه التراثيون العرب كالنويري والقلقشندي مصطلح الأوابد، على حين يطلق عليه الفولكلوريون المعاصرون مصطلح «التراث الشعبي» وهذا يعني أن مصطلح التراث الشعبي، هو المصطلح الأوسع الذي يتضمن المادة أو العناصر الفولكلورية بقسميها: الحية (المأثورات) وغير الحية (الأوابد) وهذا ما فعله التراثيون العرب، إبّان عصر الجمع والتدوين، فجمعوا هذه المادة الشعبية وميزوا الحية منها بأنها «الذائعة بين العوام أو لذلك العهد» ولو أخذنا مثالاً لذلك أغنية من أغاني ترقيص الأطفال، رواها لنا ابن النديم (الفهرست ص ١١٢ طبعة بيروت المصورة عن فلوجل) وتقول كلماتها التي كانت تترنم بها الأم العربية وهي ترقص طفلها:

بابا وشبّا
وعاشا حتى دبّا
شُييخا كبيراً أحنى

فإننا نرى أن هذه الأغنية لم تعد تردد أو تروى، ومعنى هذا أنها لم تعد حية فاعلة. على حين لو أخذنا أغنية أخرى من أغاني العمل التي كان يترنم بها النبي ﷺ والمسلمون، عند حفر الخندق إبان غزوة الأحزاب ومطلعها:

والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا... الخ.

فإنها لا تزال حية فاعلة حتى اليوم.. مثلها مثل تلك الأغنية الذائعة الرائعة التي كانت نساء المدينة يتغنين بها على أنغام الدفوف في استقبال الرسول ﷺ في المدينة عند الهجرة، ومطلعها:

طلع البدر علينا — من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا — ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا — جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة — مرحبا يا خير داع

غير أن التمييز بين العناصر الشعبية الحية والعناصر غير الحية، أو المتحجّرة يقتضي أن نقوم ـ بادىء ذي بدء ـ بجمع هذه العناصر جمعاً مكتبياً، في ضوء سياقها الثقافي

والتاريخي، من مصادر التراث العربي المدون ثم تصنيفها تصنيفاً فولكلورياً معاصراً، يسهل معه رصد هذه المادة أو العناصر الفولكلورية المتناثرة في كتب التراث، وحصرها والإفادة منها، وسهولة العودة إليها عند الدراسة العلمية. وهذا هو ما حدا بنا إلى القيام بمشروع جمع العناصر الفولكلورية في التراث العربي، وهو الآن في مرحلته التجريبية ويشرف على تمويله مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية.

٢ ـ من الجاحظ إلى ابن خلدون

أو من مرحلة الجمع إلى مرحلة الدراسة:

لا شك أننا مدينون لجيل الموسوعيين العرب العظام من أمثال الجاحظ وابن قتيبة والمسعودي والثعالبي والمرزباني وأبي حيان التوحيدي وابن عبد ربه والأصفهاني والصميري والثعالبي والخطيب البغدادي وابن قيم الجوزية والنويري والقلقشندي والسيوطي والمقريزي والأبشيهي ونظرائهم كثير في جمع المادة الفولكلورية العربية ـ على امتدادها الطويل والعريض في الزمان والمكان العربيين ـ بل ندين أيضاً لهؤلاء العلماء الموسوعيين بأقدم أساليب الجمع الميداني ـ كما سنرى وشيكاً ـ بأقدم مناهج التصنيف في بعض المجالات الفلكورية كالأمثال والأغاني والقصص والحكايات مثلاً، بل إننا مدينون أيضاً لعالم موسوعي عظيم هو ابن خلدون في مقدمته التي بوأته مركز الصدارة في فلسفة التاريخ ونشأة العلوم الاجتماعية، مدينون له أيضاً **بتأسيس علم الفولكلور العربي** نفسه وكان ذلك نفحة من نفحات العبقرية الخلدونية الخالدة، فعلى يديه أخذت المادة الفولكلورية الضخمة التي جمعها جيل الموسوعيين شكلها المنهجي وإطارها العلمي (ولأول مرة) في الفكر العربي والعالمي... **فهو أول عالم يقوم بدراسة العلوم الشعبية أو الفولكلورية من حيث هي أدب شعبي وعادات وتقاليد ومعتقدات ومعارف شعبية وحرف وصناعات وفنون جمعية في إطارها العلمي الصحيح ضمن دراسته عن علم العمران... والاجتماع البشري..** وهو أول عالم يقوم بدراستها دراسة عقلانية طبق منهج علمي دقيق التزم به، يقوم على تعريف المجال الفولكلوري، ونشأته ومراحل تطوره، وموضوعاته وأبرز علمائه وأهم الكتب المصنفة فيه... وهو في ذلك كله صاحب وجهة نظر تأسيسية داخل هذه المجالات العلمية الشعبية التي عرفتها أوروبا بعد ذلك بثلاثة قرون تحت مصطلح «فولكلور» الذي صكّه سير جونز سنة ١٨٤١، وتتجلى وجهة النظر التأسيسية تلك، في نقد المادة الفولكلورية وتمحيصها واتخاذ موقف عقلاني منها، قد يقوم على الرفض أحياناً، كما هو الحال في العلوم السحرية (كما سنرى وشيكاً في الفقرة الخاصة بذلك) وقد تقوم على تصحيح المفاهيم أحياناً أخرى، كما هو الحال في الطب الشعبي أو البدوي الذي شاع خطأ كما يقول باسم الطب النبوي (أنظر فقرة التراث الطبي في هذا البحث) وقد تقوم أحياناً أخرى على التعاطف مع المادة الفولكلورية، والدفاع عنها وتحليلها تحليلاً نقدياً يؤكد به آراءه ووجهة نظره التي تكون عندئذٍ خارجة عن العرف السائد بين علماء عصره، ومألوف علومهم ومسلماتهم العلمية أو (المدرسية)، كما فعل في دفاعه دفاعاً علمياً وفنياً ـ لأول مرة ـ عن الأدب الشعبي عامة، واللهجات والشعر الشعبي الخاص بها (انظر المقدمة، تحقيق علي عبد الواحد وافي، الصفحات من ١٢٦٨ ـ ١٣٥٥ من الجزء الرابع) وتنفرد دراسته عن الشعر الشعبي وفنونه المتنوعة بأكثر من أربعين صفحة (انظر المقدمة، فصل: أشعار العرب وأهل الأمصار لهذا العهد، ج ٤ ص ١٣١٢ ـ ١٣٥٥) عدا عشرات النصوص المتناثرة في موضوعات متعددة بالمقدمة، ولهذا كله لا غرو أن نقول:

إن ابن خلدون هو مؤسس علم الفولكلور العربي، منذ نهاية القرن الثامن الهجري.

٣ ـ القراءة الفولكلورية للتراث:

أياً ما كان موقف العلماء العرب المعاصرين من التراث العربي المدون وأياً ما كانت المعركة الدائرة بينهم حول هذا التراث، معه أو ضده، فإن هذا البحث، **يتضمن دعوة مباشرة وصريحة إلى قراءة هذا التراث قراءة فولكلورية، أعني من منظور فولكلوري، في ضوء معطيات هذا العلم الجديد، علم الفولكلور**، فإن مثل هذه القراءة سوف تكشف موقع المأثورات الشعبية من السياق التراثي العربي، والبنية الاجتماعية والتاريخية، ومن ثم سوف تحسم كثيراً من القضايا، و «تغربل» التراث ـ من رؤية معاصرة ـ تفيد من عناصره الحية الفاعلة، تستلهمها وتطورها، وتقف عند عناصره غير الحية، فتجعلها وقفاً على الدرس الأكاديمي فقط، ومثل هذه القراءة ـ لا تجعل فهمنا لواقعنا الاجتماعي المعاصر أكثر واقعية وموضوعية فحسب، بل تخرج بقضية التراث من كونها قضية الماضي لذاته أو كونها إسقاطاً للماضي الذهبي على الحاضر المحبط، إلى كونها قضية

الحاضر نفسه من وجهة كونه، أي الحاضر، حركة صيرورة تتفاعل داخلها منجزات الماضي وممكنات المستقبل تفاعلاً دينامياً صاعداً، بمعنى أن النظر إلى التراث ـ من منظور فولكلوري معاصر ـ يمكننا من إعادة امتلاك هذا التراث على أساس جديد تتكون عناصره المعرفية والفكرية من مجموع العناصر الحية والمحركة لعملية بناء الحاضر المعاصر التي هي في الوقت نفسه عملية بناء للمستقبل المنشود.

إن قراءة تراثنا الفكري والحضاري المدون، من وجهة نظر علم الفولكلور ومناهجه ونظرياته، أي طبقاً لرؤية معاصرة، ليس مجرد مرحلة من مراحل الوعي بالذات القومية، بل أيضاً سوف تسهم، كما تساعدنا على فهم أعمق للظواهر الفولكلورية الحية، الإيجابية أو السلبية فنعمل على تطويرها أو استلهامها أو تغييرها أو تجاوزها كما أنها سوف تسهم في إضفاء قدر كبير من الجدّة على هذا التراث. وحسبنا أن نشير إلى عمل موسوعي عظيم لا جدال في قيمته ومكانته التراثية هو موسوعة الحيوان للجاحظ الذي صنفها على غرار كتاب الحيوان لأرسطو في علم الحيوان، ووقفنا على ما تضمنته من معلومات، ولو رحنا نتساءل ماذا يتبقى منها للتاريخ الآن، أي في عصر العلم الحديث؟ لكانت الإجابة سلبية تماماً، ومع ذلك فإن مكانة هذه الموسوعة لم تتزعزع حتى اليوم، ليس لقيمتها التاريخية فحسب، بل لأنها تتضمن ثروة فولكلورية ضخمة في مجالات متعددة كالمعارف والمعتقدات الشعبية، والعادات والتقاليد، والثقافة المادية، والفنون الشعبية، ولا سيما الفنون القولية (مثل الحكايات الأسطورية الشارحة وقصص الحيوان التعليمية، والأمثال والألغاز والأشعار والنوادر والأقوال الدارجة، والعبارات المسجوعة التي كان العرب يقولونها على لسان الحيوان، وغير ذلك مما يندرج في مجال الأدب الشعبي) وهو ما يمكن قوله أيضاً عن موسوعة الحيوان الكبرى للدميري.

وأعتقد أنه في ظل غياب هذه القراءة الفولكلورية، سوف تبقى أحكامنا على التراث العربي، ومن ثم العقل العربي غير صحيحة وغير موضوعية، وتعميمية صارخة، وفوقية متعالية. ومن حسن الحظ أن جيل التراثيين العرب، لم يعرفوا تلك التفرقة البغيضة بين ثقافة العامة وثقافة الخاصة، فهيأوا بذلك لنا مادة فولكلورية خصبة وطاغية، تكشف لنا عند الدرس العلمي عن جذور الثقافة الشعبية العربية، والفولكلور أبرز جوانبها، وهذا يعني، في التحليل العلمي الأخير حقيقة «وحدة الثقافة» للمجتمع العربي، الناجمة عن وحدة الأرث أو التراث الفكري والحضاري المشترك، ويؤكد مقولة التواصل الثقافي العربي. ودون أن نتسرع، الآن، في إصدار أحكامنا حول جدوى قراءة التراث العربي، قراءة فولكلورية دعنا الآن نقم بجولة كاشفة، غايتها استنطاق هذا التراث فولكلورياً... فقط، ثمة ملاحظة منهجية، هي أنه في ضوء هذا التراكم الكمي والنوعي الكبير لمصادر التراث العربي المدون، لا نملك إلا «الانتقائية» لنماذج من هذه المصادر التي حرصنا على أن تكون، في معظمها، منشورة ومحققة تحقيقاً علمياً حديثاً، قدر الإمكان، ولها بالطبع ـ صلة وثيقة بالمأثورات الشعبية العربية، مادةً وعلماً.

أولاً: التراث اللغوي العام

وكتب المعاجم والأمالي اللغوية:

لا جدال في أن المكتبة اللغوية التراثية حافلة بكنوز المؤلفات والمصنفات اللغوية، منذ بدء عصر التدوين العربي، وأن كثيراً جداً منها قد عرف طريقه إلى النشر والتحقيق العلمي.. من هذه الكنوز اللغوية، على سبيل المثال لا الحصر: أمالي القالي، والزجاجي، والسهيلي، وابن الشجري، والمرتضى، واليزيدي، وكتب الاشتقاق لابن دريد والأصمعي، والأشباه والنظائر للخالديين، وفقه اللغة للثعالبي، وكتاب جمهرة اللغة لابن دريد ومجالس ثعلب اللغوية، وديوان المعاني، والفروق في اللغة لابي هلال العسكري وكتاب المعاني لابن قتيبة، وديوان الأدب للفارابي، والكامل في اللغة والأدب للمبرد والمجمل لابن فارس، والخصائص لابن جني والكتاب لسيبويه، والمزهر للسيوطي، والبارع في اللغة لإسماعيل بن القاسم القالي البغدادي ومعجم ما استعجم للبكري، والمخصص لابن سيده، وله أيضاً كتاب المحكم، وكذلك معجم العين للخليل، والصحاح للجوهري والقاموس المحيط للفيروز آبادي ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي، وأساس البلاغة للزمخشري، وتهذيب اللغة للأزهري، وكتب النوادر والتعليقات في اللغة، وكذلك بعض الكتب اللغوية المتفرقة التي كتبت إبّان عصر الرواية والاستشهاد اللغوي واستطاعت أن تنجو من غوائل الزمن وبراثن الضياع، من مثل كتب الأنواء والأزمنة والأمكنة وكتب النبات والمطر وكتب الخيل والإبل (أنظر على سبيل المثال: كتاب الإبل للأصمعي، كتاب النبات للأصمعي، كتاب الخيل

للأصمعي، كتاب الخيل لأبي عبيدة، كتاب أسماء الخيل لابن الأعرابي، كتاب الأيام والليالي والشهور للفراء، كتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي، وكتاب الأزمنة لقطرب النحوي، كتاب الأزمنة والأنواء لابن الأجدابي، كتاب الأنواء عند العرب للدينوري، كتاب الأنواء لابن خرداذبه، كتاب المطر لابي زيد الأنصاري، كتاب وصف المطر والسحاب للبلاذري، رسالة في أسماء الريح لابن خالوية... الخ) ويمكن أن نضيف إلى ما سبق كتاب الثعالبي الرائع المعروف بثمار القلوب في المضاف والمنسوب.

ومما يدخل في تراثنا اللغوي وله علاقة بالمادة الفولكلورية **كتب الأضداد اللغوية** (مثل أضداد ابن الأنباري، والأصمعي، والسجستاني، وابن الدهان، وابن السكيت، وقطرب وغيرهم).

ومما يدخل كذلك الكتب اللغوية التي عالجت **لحن العامة** من مثل لحن العوام للزبيدي (وكتاب الرد على الزبيدي في لحن العامة لابن هشام) وكتاب ما تلحن فيه العامة للسكائي، وكتاب الفاخر للمفضل بن سلمة (في العبارات والتراكيب الدارجة والملحونة) وكتاب الزاهر في معاني كلمات الناس لابن الأنباري المتوفي سنة ٣٢٨ هـ (وهو محقق أيضاً في جزأين كبيرين، والكتاب كله مخصص لرصد أو بالأحرى لجمع أقوال الناس العاديين وعباراتهم وألفاظهم الدارجة في الحياة اليومية، وتدوينها ودراستها وتبيين أصولها ومعانيها وما تنطوي عليه من بلاغة فائقة) وكذلك كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت، وكتاب تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي وكتاب تقويم اللسان لابن الجوزي.

ويمكن لدارسي الفولكلور أن يفيدوا من هذا التراث اللغوي في أمرين أساسيين: أحدهما منهجي، والآخر موضوعي.. **أما الإفادة المنهجية فتتجلى في استخلاص منهج عربي في الجمع الميداني للمأثورات الشفهية**، يمكن أن يفيد منه الفولكلوريون اليوم، وهو ما دعا - ولا يزال - يدعو إليه الدكتور سعد الصويان (أنظر كتابه **جمع المأثورات الشعبية**، مركز التراث الشعبي قطر، ١٩٨٥) ذلك أن التراث اللغوي العربي، كان في أساسه تراثاً شفاهياً، ثم قام بجمعه اللغويون العظام من جيل العلماء الأوائل كالأصمعي وأبي عبيدة وأضرابهما جمعاً ميدانياً من أفواه الرواة في البوادي العربية، كما نعلم، إبان عصر الرواية. فهم من هذه الناحية جامعون ميدانيون بالمعنى الدقيق (لمزيد من التفصيل، أنظر: كتاب الرواية والاستشهاد باللغة للدكتور رجاء عيد، وكتاب رواية اللغة للأستاذ عبد الحميد الشلقامي وكتاب البحث اللغوي عند العرب للدكتور أحمد مختار عمر) وقد حفزنا بحث سعد الصويان إلى مواصلة الطريق في حقل معرفي آخر هو حقل الحديث النبوي وأسلوب جمعه وتدوينه وتصنيفه وتوثيقه، فكتبنا دراستنا «**علم رواية الحديث. وأصول الجمع الميداني للمأثورات الشعبية عند العرب**»، كتاب التراث الشعبي رقم ٢ بعنوان أبحاث في التراث الشعبي ص ١٦٧ - ٢٠٨ بغداد ١٩٨٦.

وأما الإفادة الموضوعية فتتجلى فيما تتضمنه كتب المعاجم واللغة من مادة فولكلورية خصبة وغزيرة، **فهي تتحدث عن** لغات العرب، ولهجاتها وأشعارها وأمثالها وحكمها ووصاياها وألغازها ومعاظلاتها ومراثيها ونوادرها وأغانيها الشعبية، وقصصها وحكاياتها وخرافاتها وأساطيرها.. فهي من هذه الناحية وعاء أكبر للآداب الشعبية، كما أنها تتحدث عن عادات العرب وتقاليدهم وأنماط سلوكهم كما تتحدث عن **معارفهم ومعتقداتهم الشعبية في الكون والوجود والحياة**، (والحيوان والنبات والجماد...) كما تتحدث كذلك عن ثقافتهم المادية وفنونهم الشعبية، وما يتعلق بذلك كله من وصف للأدوات وللحرف، وللصناعات، وللطب، وللأدوية، وللأطعمة والأشربة، وللمسكن والبنيان وللأزياء والملابس وما يتعلق بها، وأدوات الزينة وأنواعها وأسمائها... إلى غير ذلك مما يدخل في مجال العلوم الفولكلورية الحديثة..

إننا لو أعدنا قراءة هذه الموسوعات اللغوية - على سبيل المثال - قراءة فولكلورية، واستخرجنا منها العناصر أو المواد الشعبية وأعدنا تصنيفها ثانية، طبقاً للحقول الفولكلورية المعروفة لتهيأ لدينا عدد رائع من المعاجم الحضارية المتخصصة التي يمكن أن يفيد منها أيضاً المؤرخون وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا (الأنثروجرافيا، الأنثولوجيا) والمعنيون - عموماً - بدراسة التاريخ الاجتماعي والتاريخ الحضاري للشعب العربي، وغيرهم كثير. وليس هذا بدعاً، بل لقد نجح بعض المستشرقين في تطبيقه، **مثل المستشرق الهولندي المعروف دوزي الذي أخرج لنا سنة ١٨٤٣، أي منذ أكثر من مائة سنة. أول معجم متخصص في الأزياء هو «المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب»** معتمداً في

ذلك على المعاجم العربية في المقام الأول، وكان من جراء ذلك أن اكتشف الثغرات اللغوية الموجودة في معاجمنا التي توقفت منذ أمد بعيد بعد تاج العروس فكان أن وضع معجمه اللغوي الضخم المعروف «تكملة المعاجم العربية» لتدارك هذا الأمر.

ثانياً: التراث الشعري.

إذا وضعنا في الاعتبار أن المعيار اللغوي الذي يأخذ به علماء الفولكلور العرب، لم يعد فيصلاً بين أدب الصفوة (الرسمي) وأدب العامة (الشعبي) وإنما المعيار الفارق، هو المعيار الوظيفي الذي يجعل من الأدب تعبيراً عن الوجدان الجمعي للجماعة (قبيلة أو شعباً) فيكون بذلك لسان حال الجماعة، وديوانها الفني المعبّر ـ فكرياً ونفسياً وجمالياً ـ عن أحلامها وتطلعاتها وقيمها العليا، وآلامها وهمومها وقضاياها العامة، وأن يكون هذا التعبير أو الإبداع الفني ـ في أساسه ـ قائماً على المشافهة في أدائه وتواتره، خاضعاً لمقتضيات هذه «الشفاهية» من حذف أو إضافة أو تعديل في النص تبعاً لنوعية الجمهور المتلقي ورغباته، ولطبيعة الموقف الآدائي فكرياً ونفسياً، وقدرة الذاكرة الإنسانية للرواة، ومهارة المؤدين، إذا وضعنا ذلك كله في الاعتبار ونظرنا إلى التراث الشعري العربي وجدنا أنفسنا أمام كثير من الألوان والفنون الشعرية التراثية التي يمكن أن تندرج تحت الإبداع الشعري الشعبي عند العرب، وهي كثيرة منها:

٢/ ١ شعر الحداء والرجز:

لا شك في شعبية هذا اللون من الشعر، طبقاً لما وصلنا من نصوص عن العصرين الجاهلي والإسلامي، فقد كان إنشاده غناء وإبداعه مرتجلاً وموضوعاته شعبية بدءاً من حداء الإبل، والهجاء والفخر مروراً بأغاني الطفولة والآبار والبناء والعمل، ومن هنا قال الأخفش عن الرجز «هو الذي يترنمون به في عملهم وسوقهم ويحدون به»، وانتهاء بأناشيد الحروف، والنُّواح وأدعية المتسولين (لمزيد من التفصيل أنظل: حسين نصار، الشعر الشعبي العربي، ١٩٦٢، القاهرة).

٢/ ٢ المعلقات والشعر الجاهلي:

لا بأس أن نقسم الشعر الجاهلي إلى اتجاهات أربعة: شعر المعلقات السبع، و شعر الشعراء الصعاليك (الشنفري وتأبط شرا وعروة بن الورد) وشعر الشعراء الفرسان (المهلهل، عبد يغوث، عامر بن الطفيل، حاتم الطائي، وعمرو بن معديكرب، دريد بن الصمّة، عبيد بن الأبرص، السموأل، أمية بن أبي الصلت وأضرابهم) وشعراء المديح أو شعراء الملوك والبلاط (الأعشى، النابغة، علقمة الفحل، المثقب العبدي، المتلمس، عديّ بن زيد) وباستثناء شعراء البلاط، فإن الاتجاهات الثلاثة الأخرى هي اتجاهات شعبية صدر فيها أصحابها عن وجدان جمعي، هو وجدان القبيلة، فعبروا عن قضاياها وتطلعاتها وقيمها وفضائلها ومآثرها وتاريخها (الشفاهي أصلاً) وحروبها وانتصاراتها وذادوا عنها ضد أعدائها بل كان أداة الحرب القولية فيها، ومن هنا قال ابن رشيق في بيان وظيفة الشاعر الجاهلي في قبيلته «إنه يحمي أعراضها، ويدافع عن أحسابها، ويخلّد مآثرها، ويشيد بذكرها» ولهذا أيضاً لا غرو أن يجمع التراثيون العرب ابتداء بالجاحظ وانتهاء بابن خلدون، على أن الشعر هو ديوان العرب، وأخبارهم، وحكمهم «في الجاهلية وصدر الإسلام»، ومن ثم فهو ـ في التحليل الأخير تراث شعبي شفاهي.

ويمكن أن يلحق بذلك أيضاً كمّ شعري شعبي هائل، مجهول القائل، ذاع في العصر الجاهلي، وأبان عصر الفتوح الإسلامية العظيم، ونراه مبثوثاً في كتب الأدب وكتب المغازي والسير والفتوح وأيام العرب في الجاهلية والإسلام. وكتب التاريخ العام، وبعض هذه النصوص أو القصائد الشعرية تصل ـ وحدها ـ إلى قرابة الألف بيت (مطولة أو شبه مطولة، على نحو ما ورد في كتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شريه) ومع ذلك فإن هذا الكمّ الشعري الهائل لم يجمع ولم يلق حظه من الدراسة حتى الآن بحجة أنه مجهول القائل، وكأن مرور خمسة عشر قرناً من الزمان لا تكفي لإضفاء الشرعية التراثية عليه، وهو شئنا أم أبينا جزء من تراثنا العام. وما كان يصل إلى عصر التدوين في القرن الثالث الهجري ما لم يكن شعراً شعبياً حياً وظل يتردد على ألسنة الرواة في المجتمع العربي الشعبي آنذاك.

٢/ ٣ شعر الأوابد:

ضرب من الشعر صرخ به شعراء القبائل والأمصار في وجه الولاة والعمال المستبدين، مبثوث في كتب الأدب والتاريخ العام وفي بعض المجموعات الشعرية النادرة (وقد عرف بعضها طريقه إلى النشر العلمي المحقق مثل مجموعة «القصائد المفردات» لطيفور) ومعظم شعرائه مجهولون

خشية بطش هؤلاء العمال أو انتقام الولاة من قبائلهم وقراهم، وقليل منهم معروف مثل الراعي النميري في بعض قصائده ومثل البوصيري في أوابده ضد العمّال والولاة في العصر المملوكي. وقد اشتق هذا اللون من الشعر اسمه من آبدة الدهر، أي المصيبة التي لا تمحى على مر الأيام، لأن القبيلة أو الجماعة ظلت حريصة على روايته كلما حَزَبَها أمر من الأمور واضطهدها والٍ ظالم.

٢/ ٤ شعر اللصوص والشطار:

وهو ضرب من شعر الرفض الاجتماعي ذاع بين الرواة والعامة، بنزعته المتمردة ودلالاته الاجتماعية والطبقية والاقتصادية، حتى ليروي لنا الجاحظ في البيان والتبيان، أن من لم يرو شعر اللصوص وأحاديثهم كان لا يعدّ من الرواة في عصره.

٢/ ٥ شعر المكدين والطوافين والجوالين:

من شعر الرفض الاجتماعي أيضاً ومن نماذجه القصيدة الساسانية الشهيرة التي رواها لنا الثعالبي وتقع في أربعمائة بيت مليئة بمصطلحات أهل الكدية ولغاتهم الخاصة وتقاليدهم وآدابهم وعاداتهم وقضاياهم، وكانت تشكل دستوراً بين المكدين في هذا العصر، وهي لشاعر جوال يدعى محمد بن عبد العزيز السوسي، ومثلها أيضاً قصيدة أبي دلف الشهيرة، وهناك أيضاً شاعر المكدين المعروف الأحنف العكبري وقصائده الشعبية الذائعة بدلالاتها الاجتماعية وعناصرها الفولكلورية.

٢/ ٦ الشعر الساخر:

ضرب من دواوين الشعر الشعبي، ظاهره المجون والرقاعة وباطنه السّخر والتمرد يفيض بروح النقد الشعبية الدالة، ومن هنا كانت تحتشد له الجماهير الشعبية أقصى ما يكون الاحتشاد كما يروي لنا المؤرخون مع الشاعر الشعبي المعروف ابن سودون. ومن هؤلاء الشعراء أيضاً ابن لنكك البصري، وأبي الرقعمق، وابن سكرة والجزار المصري ونصر بن أحمد الخبز أرزي وابن الحجاج (وقد حقق ديوانه في جامعة لندن في رسالة دكتوراه أخيراً) **وابن الحجاج يعد في رأي كثير من الباحثين بأنه زعيم الشعراء الشعبيين في عصره على حد تعبير آدم متز في كتابه عن تاريخ الحضارة الإسلامية في القرن الرابع** (١: ٤٩٧) والحق أن ابن الحجاج قد حظي بشهرة واسعة في عصره بين العامة والخاصة، ولهذا كثيراً ما كان يباع ديوانه بخمسين إلى سبعين ديناراً في ذلك العصر. وكان الشريف الرضى نقيب العلويين وأكبر أصحاب المكانة في الدولة العباسية من أكثر المعجبين به. ويمكن أن يلحق بهذا الضرب من الشعر الشعبي الساخر **شعر النقائض**، بروحه الشعبية الساخرة وبقالبه الفني، ووظائفه وغاياته، وبأسلوب آدائه، وجماهيره المحتشدة والمتعصبة (أنظر شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية) وأنظر أيضاً نقائض جرير والفرزدق وديوان الأخطل، وما تتضمنه من تعرية للواقع الاجتماعي للقبائل وعاداتها وتقاليدها ومثالها ومفاخرها... الخ.

٢/ ٧ الشعر العذري:

كثير من شعر الغزل العفيف يعد شعراً شعبياً، كما هو الحال في ديوان مجنون ليلى، وأخباره وقصصه، وما نسب إليه، حتى شك القدماء أنفسهم في وجوده التاريخي، وتكمن أهمية هذا اللون من الشعر، فيما يعكسه من واقع اجتماعي ونفسي وطبقي. (لمزيد من التفصيل أنظر الشعر وطوابعه الشعبية، شوقي ضيف).

٢/ ٨ شعر المديح النبوي المتأخر:

تعد مدائح البوصيري النبوية، والصرصري، وعبد الرحيم البرعي، ودواوين أخرى، ضرباً من الشعر الشعبي، كانت تردده المجتمعات الشعبية في الأفراح والمواسم والمناسبات الدينية المتعددة وتحفظه عن ظهر قلب، ليس فقط لأسباب دينية، وإنما أيضاً لأنه كان يحقق لها وظائف نفسية ويلبي لها احتياجات اجتماعية كثيرة، لهذا لا غرو أن ينتشر هذا الضرب من الشعر في العصرين المملوكي والعثماني (لمزيد من التفصيل أنظر دراستنا عن بردة البوصيري، قراءة فولكلورية ودراستنا عن «فن النبويات، رحلة في المكان والزمان والوعي) وأنظر أيضاً المجموعة النبهانية في المدائح النبوية (وهي تحتوي على خمسة وعشرين ألف بيت في المديح النبوي، ولم تلق حظها من الدراسة حتى الآن).

٢/ ٩ الشعر المرتجل وفنونه:

يعد الشعر المرتجل ضرباً من ضروب الشعر الشعبي الذي كانت تتبارى به القبائل العربية في البوادي.. كما أن فنونه المتنوعة **كالمماتنة والتمليط** تمثل الأصل التاريخي والفني لبعض الفنون الشعرية الشعبية الذائعة في منطقة الخليج مثل **فن القلطة** (لمزيد من التفصيل، أنظر لنا بعض الدراسات عن

هذه الفنون التراثية الشعبية في مجلة البيان، الأعداد ١٨٣، ١٨٦ سنة ١٩٨١ ـ الكويت) ومن أهم المصادر لهذا الضرب من الشعر: كتاب نضرة الأغريض في نصرة القريض للمظفر بن فضل العلوي، وكتاب بدائع البدائه لعلي بن ظافر الأزدي.

٢/ ١٠ الفنون الشعرية غير المعربة:

لا جدال في شعبية هذه الضرب من الشعر الملحون، بفنونه وقوالبه المتعددة، **مثل الزجل، وفن المواليا (أو الموّال) والقوما، والكان وكان، والشعر البدوي الذي ذاع في المشرق العربي، وعروض البلد وهو ضرب من الشعر الشعبي ذاع في المغرب العربي**، ومن أهم المصادر التراثية التي حفلت بهذا الضرب من الشعر الشعبي (والعامي) ودراسته: مقدمة ابن خلدون **(وفيها دافع ابن خلدون دفاعاً علمياً عن القيمة الفنية والجمالية والغايات الوظيفية، الفكرية والنفسية للشعر البدوي ولشعر عروض البلد، لأول مرة فيما بين أيدينا** من كتب التراث) وكتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي لصفي الدين الحلّي، والدرّ المكنون في سبعة فنون لابن أياس، وسفينة الملك ونفيسة الفلك لمحمد بن اسماعيل وعقود اللآل في الموشحات والأزجال للنواجي وبلوغ الأمل في فن الزجل لابن حجة الحموي.

أما في الشعر المعرب، فبمقدورنا أن نذكر مجموعة من المجاميع والمصادر الشعرية الأخرى التي نرى أنها تحتوي على نصوص شعبية أخرى، (عد دواوين الشعراء بالطبع) أو تتضمن مادة فولكلورية يمكن أن يفيد منها دارسو الشعر الشعبي العربي: المفضليات، الأصمعيات، جمهرة أشعار العرب للقرشي، الأشباه والنظائر للخالديين، دواوين الحماسة وشروحها، ديوان الهذليين وشرحه للسكري، وشرح المعلقات للأنباري، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وفحولة الشعراء للأصمعي، والمحمدون من الشعراء للقفطي، والمطرب من أشعار أهل المغرب لابن دحية، والورقة لابن الجراح، ومنتهى الطلب من أشعار العرب لابن ميمون، ويتيمة الدهر للثعالبي وكتاب الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي (وهو كتاب محقق في جزأين كبيرين وبالغ القيمة بالنسبة للفولكلوريين فهو يتضمن الأشعار التي قيلت في كثير من الموضوعات التي تندرج اليوم تحت المجالات الفولكلووية المعروفة، ولا سيما الصناعات والحرف والآلات وغيرها مما يدخل في مجال الثقافة المادية، وكذلك العادات والتقاليد، وكذلك المعارف والمعتقدات الشعبية، وهذه الأشعار مصنفة تصنيفاً موضوعياً تسهل معه الإستفادة العلمية من الكتاب).

ثالثاً: التراث الموسوعي والمجاميع الأدبية وكتب المعارف العامة

لا مراء في أن التراث العربي المدون حافل بالكثير الكثير من الكتب الموسوعية أو ذات الطابع الموسوعي، في المجالات العلمية والأدبية والبلاغية والنقدية والمعارف العامة، شعراً ونثراً، ولا جدال أيضاً في أن أصحاب هذه الموسوعات لم يفرقوا بين ثقافة الخاصة وثقافة العامة عند رصد معلوماتهم ومروياتهم وأخبارهم عن العرب، واحتفوا بالثقافة، بمفهومها الأنثروبولوجي الدقيق، ولا مراء أيضاً في أن الفضل في جمع المادة الفولكلورية العربية يعود إلى هذا الرعيل الأول من الموسوعيين العرب العظام الذي بدأ بالجاحظ وانتهى بابن خلدون، وهذه بعض نماذج للكتب الموسوعية أو ذات الطابع الموسوعي في التراث العربي في عدة مجالات كالأدب واللغة والنقد والبلاغة والأخبار والمعارف العامة وكلها حافلة بالمادة الفولكلورية المتنوعة والهائلة، **غير أن مشكلتها أنها مبعثرة هنا وهناك، تنتظر من يقوم بجمعها جمعاً مكتباً علمياً لا يفقدها سياقها التاريخي أو الثقافي، ثم يقوم بعد ذلك بتصنيفها تصنيفاً علمياً وفق مناهج التصنيف الدولية أو العربية للفولكلور**، حتى يسهل العثور عليها والوقوف عندها، تمهيداً لدراستها، والعودة إليها وقت الحاجة، في يسر وسهولة. ويأتي على رأس هذه النماذج: البيان والتبيين، والحيوان للجاحظ (وسائر مؤلفاته: والكامل في اللغة والأدب للمبرد والعقد الفريد لابن عبد ربه، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (وسائر مؤلفاته) وأدب الكاتب، والمعارف، وعيون الأخبار لابن قتيبة ويتيمة الدهر في محاسن أهل العصر للثعالبي (وسائر مؤلفاته) ورسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، والإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي والأخبار الموفقيات للزبير بن بكار، وإحصاء العلوم للفارابي، ومفاتيح العلوم للخوارزمي، ولباب الآداب لأسامة بن منقذ، وزهر الآداب وثمر الألباب للحصري، والمنثور والمنظوم لطيفور وإحياء علوم الدين للغزالي والمزهر للسيوطي، (وكثير من مؤلفاته الأخرى) وكتب المحاسن والمساوىء ـ وما أكثرها ـ وأشهرها كتاب البيهقي ونهاية الأفكار ونزهة الأبصار

لعبدالله بن قاسم الحريري، وجواهر الأدب في معرفة كلام العرب للأربلي، ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، وصبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي، وحياة الحيوان الكبرى للدميري، والمستطرف في كل فن مستظرف للأبشهي، والكشكول والمخلاة لبهاء الدين العاملي، وثمرات الأوراق في المحاضرات لابن حجة الحيوي، ونزهة الألباب فيما لا يوجد في كتاب للتيفاشي.

ومن كتب التراث النقدي والبلاغي التي تحتفي أحياناً بالمادة الفولكلورية البالغة القيمة ـ بالنسبة للمعنيين بدراسة الآداب الشعبية: كتاب البرهان في وجوه البيان لإسحق بن وهب، والجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (ضياء الدين) والعمدة في صناعة الشعر ونقده لابن رشيق لكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، ونقد الشعر لقدامة، والشعر والشعراء وكتاب المعاني الكبير لابن قتيبة، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، وتحرير التحبيرفي صناعة الشعر والنثر لابن أبي الأصبع، والفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي حديد، وفحولة الشعراء للأصمعي، وطبقات الشعراء لابن سلام، والشعر والشعراء لابن قتيبة، وعيار الشعر لابن طباطبا، وأدب الكتاب لابن درستويه، والوساطة للقاضي للجرجاني، والموازنة للآمدي، والموشح للمرزباني، وسر الفصاحة للخفاجي، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني (عبد القاهر) وغرائب التشبيهات على عجائب التشبيهات لعلي بن ظافر الأزدي، وحسن التوسل إلى صناعة الترسل لشهاب الدين محمود، والطراز لابن حمزة العلوي، ونصرة الثائر على المثل السائر للصفدي، وخزانة الأدب، ومناهج التوسل إلى مباهج الترسل لابن حجة الحموي، وشرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي. وتجدر الإشارة إلى أن كتب التراث النقدي والبلاغي يمكن أن تفيدنا، ليس فقط في حفظ أو تقديم مادة فولكلورية متناثرة هنا وهناك، وردت عبراً أثناء شروح الشراح وتعليقات المؤلفين والمصنفين، وإنما أيضاً يمكن أن تفيدنا في دراسة بعض فنون الأدب الشعبي، مثل فنون الألغاز والمعاياة والمعمى واللحن والأحاجي والرمز والإشارة والكناية وفن المعاظلات اللسانية، وفن الأمثال وحكايات الحيوان والقصص الخرافية، على نحو ما أفدنا منها في دراساتنا لهذه الفنون.

رابعاً: كتب التراث الأدبي القصصي

هناك مجموعات قصصية تراثية هائلة، لم تلق ـ للأسف ـ حظها من الدراسة حتى اليوم... برغم أنها تراث شعبي مدون في المقام الأول، ليس فقط لأن الفن الحكائي أو القصص القديم، هو فن شعبي بالضرورة، بل لأنها ـ تعكس ـ أقوى وأصدق ما يكون الانعكاس ـ قدراً هائلاً من واقع الحياة اليومية ـ ومن ثم الثقافة الشعبية ـ للمجتمع العربي في البوادي والأمصار العربية الإسلامية، قَلّ أن تَجِدَ لها نظيراً في مصادر تراثية أخرى...

ويكفي أن نذكر هنا على سبيل المثال، قصة أبي القاسم البغدادي، المنسوبة تارة إلى مؤلف مجهول يدعى أبا المطهر الأزدي، والمنسوبة تارة أخرى، إلى مؤلف معلوم هو أبو حيان التوحيدي... فهذه القصة تنفرد باحتواء حوارها على أندر وأكبر مجموعة من ألفاظ السباب الفاحشة التي كانت شائعة في الحياة العامة لبغداد إبّان القرنين الثاني والثالث الهجريين، وجمعها اليوم وترتيبها أبجدياً ـ على سبيل المثال ـ **يشكل أول معجم عربي في هذا الباب الذي لم يجرؤ أحد من معاصرينا ـ حتى الآن ـ ولا أظنه يجرؤ، على كتابة أو تصنيف معجم من هذا النوع**، على حين تحفل الثقافات الأخرى المعاصرة، بمثل هذه المعاجم الطريفة، والبالغة القيمة، من حيث الأهمية الثقافية والدلالة الاجتماعية.

وهناك أيضاً ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ المجموعة القصصية الكبرى المعروفة باسم نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة للتنوخي، وقد نشرت في عدة مجلدات ضخمة... وكذلك مجموعته الثانية التي نشرت أيضاً في عدة مجلدات تحت عنوان «الفرج بعد الشدة» (وما أكثر المجموعات القصصية التراثية التي تحمل أيضاً هذا العنوان نفسه) كما أن هناك مختصراتلها، كان ينسخها الوراقون ويعملون على إذاعتها... ضمن بضاعة نافقة جعلت بعضاً من ذوي الحياة العريضة (كتاب السلطة وأدباؤها) أو من الفقهاء المتزمتين يصبّون جام غضبهم على القصاص والوراقين جميعاً. (انظر على سبيل المثال كتاب القصص والمذكرين لابن الجوزي)، وأنظر أيضاً على سبيل المثال ما كتبه الغزالي عن القص والقصاص في الجزء الأول من كتابه الذائع إحياء علوم الدين (ص ٣٤ ـ ٣٨)، ووجهة نظره أن فن القص يعمل على إلهاء الناس عن أداء الشعائر الدينية. ولكن فن القصة ـ وهو

فن شعبي كما ذكر ـ في الفطرة المتمكنة من المجتمعات الشعبية حتى يمكن القول **بأن الإنسان كائن قصصي**.

وهناك أيضاً المجموعات الكبرى المتمحورة حول القصص الفكاهي والحكايات المرحة التي عرفت في التراث العربي باسم النوادر، مثل نوادر البخلاء، ونوادر النوكى، ونوادر الطفيليين، ونوادر المنحرفين ونوادر الحمقى والمغفلين، ونوادر الأذكياء وغيرها مما ورد في كتب الفكاهات القصصية أو القصص الفكاهية عند العرب مثل نثر الدرر للآبي. وجمع الجواهر في الملح والنوادر للحصري، وأخبار الحمقى والمغفلين، وأخبار الأذكياء لابن الجوزي، ونزهة النفوس ومضحك العبوس (مجهول المؤلف) وأخبار البخلاء، والتطفيل للخطيب البغدادي، وأخبار الظراف والمتماجنين لابن الجوزي، ونوادر قراقوش المنسوب لابن مماتي، ونوادر قراقوش للسيوطي أيضاً، ونوادر جحا (مجهول المؤلف).

وهناك أيضاً القصص العاطفي والاجتماعي، وأيام العرب (ضرب من القصص التاريخي والفروسي) وهناك أدب المقامات القصصي، ومثله المنامات، والنماذج التراثية لهذه الأشكال القصصية ذائعة ومعروفة، وهناك الأدب التمثيلي الشعبي (مثل بابات ابن دانيال الكحال) الذي يعرف بخيال الظل، وهناك أيضاً قصص الجان، والخوارق وأبرز نماذجه ألف ليلة وليلة، والتوابع والزوابع لابن شهيد وهناك القصص الديني، وحكايات الحيوانات وقصصها (التعليلي الأسطوري والتعليمي الوعظي) ومن أشهر نماذجها كليلة ودمنة، وسلوان المطاع في عدوان الأتباع لأبن ظفر الصقلي، وكتاب فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء لابن عرب شاه، وغيرها وهناك أيضاً **رواية الحيوان** مثل رسالة تداعي الحيوان على الإنسان لأخوان الصفا، ورسالة الصاهل والشاحج لأبي العلاء المعري، وهناك أيضاً السير الشعبية العربية المدونة باللغة المتفاصحة. وهناك كذلك القصص الفلسفي مثل قصة حي بن يقظان التي تعد أعظم قصة أبدعتها العصور الوسطى في الآداب العربية والعالمية على السواء، ثم قصة رسالة الغفران لأبي العلاء المعري بمغزاها النقدي، السياسي والاجتماعي. ولعل عودة عجلى إلى فهرست ابن النديم توقفنا على هذا الكم الهائل من أسماء القصص والحكايات التي كانت رائجة في عهده، وأنماطها المتعددة (أنظر الفهرست ص ٣٠٤ ـ ٣٠٨، ص ٣١٣ ـ ٣١٤، طبعة بيروت المصورة عن فلوجل).

ومما له مغزى في هذا المقام أن القصص العربي تجاوز الحدود الجغرافية واللغوية وترك بصماته جلية على الآداب القصصية العالمية.. ثم بعد ذلك ننساق وراء بعض المستشرقين الرافضين للثقافة العربية (مثل رينان) ونردد أن العرب أمة غير قصصية.. **إن هذا التراث القصصي العربي الهائل والذي لا يمكن تقييمه اليوم إلا بمنظور فولكلوري** يمكن أن يدرأ عن العقل والفكر العربي كثيراً من التهم، ويثبت أن العرب، شأنهم شأن غيرهم من الشعوب، عرفوا التراث الأسطوري والقصصي والتمثيلي والملحمي.

ومن الجدير بالذكر أيضاً أن قصص الخاصة (الرسمية) في التراث العربي قد استلهم أصحابهم قصص العامة الشعبية، فقصص المقامات مستلهم من قصص الشطار والمكدين، وقصص التوابع والزوابع مستلهمة من قصص الجان وقصة الغفران مستلهمة من قصص الإسراء والمعارج الشعبية (لمزيد من التفصيل حول شعبية التراث القصصي عند العرب، أنظر دراستنا «دعوة إلى دراسة تراثنا القصصي في ضوء مناهج بحث الفولكلور» مجلة البيان العدد **١٥٩** يونيو **١٩٧٩** ـ الكويت).

خامساً: كتب الأمثال:

يعد التأليف والتصنيف في مجال الأمثال علماً قائماً بذاته، ومن هنا امتلأت المكتبة التراثية بكم لا بأس به من التراث المَثَلي أو كتب الأمثال، مثل: أمثال عبيد بن شريه، وصحاري العبد، والمفضل الضبي وأبي عكرمة الضبي والسدوسي وأبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن الأعرابي وابن السكيت وابن حبيب والجاحظ وابن قتيبة وثعلب والأصفهاني والثعالبي والعسكري والواحدي والميداني والزمخشري وغيرهم كثير. وقد عرفت كثير من كتب الأمثال التي صنفها هؤلاء طريقها إلى النشر المحقق وخضعت للدراسة العلمية الحديثة.. كما نعلم، فكان أن كشفت هذه الدراسات والبحوث عن القيمة اللغوية والأدبية والفولكلورية، والمنهجية لهذا اللون من ألوان التراث العربي، فهي إلى جانب قيمتها اللغوية، والأدبية وما تتضمنه من قصص للأمثال، بجميع أنواعها، التعليلية الشارحة لأمثال، والحكايات الشعبية الخرافية والاجتماعية والتاريخية وقصص الحيوان المرتبطة بها تتضمن بالضرورة مادة فولكلورية أصيلة تتعلق بالحياة الشعبية ـ فالأمثال مرآة الشعوب ـ كالعادات والتقاليد والمعتقدات

والمعارف الشعبية ولا سيما ما يتعلق منها بالأنطولوجيا الشعبية وما يتعلق بها من تصورات شعبية عن الوجود والكائنات. . كما تتضمن مادة فولكلورية خصبة عن الحرف والفنون والصناعات الشعبية، وأخرى عن عالم الحيوان وعالم النبات، وأخرى عن الطب الشعبي، والعلاجات الشعبية، ومنها ما يتعلق بالبيئة وتضاريسها ومناخها واقتصادها وتاريخها والعلاقات الاجتماعية والطبقية السائدة فيها. . . الخ. وإلى جانب هذا وذاك **تمدنا هذه المؤلفات بمناهج دقيقة في التصنيف العلمي (للأمثال) فقد عرف جامعو الأمثال العربية منهج التصنيف المعجمي، ثم المنهج الموضوعي، وأخيراً المنهج الدلالي، وقد انفرد التراث العربي بهذا اللون من تصنيف الأمثال حتى اليوم** (انظر دراستنا عن الأمثال الشعبية في التراث العربي، دراسة في مناهج التصنيف).

واللافت للنظر في عناية القدماء بالأمثال أنهم ـ أول الأمر ـ قد عنوا بها لأسباب لغوية (وهذا هو السر في أن علم الأمثال قد نشأ في كنف اللغويين العرب، حتى ليندر أن تجد لغوياً لم يصنف في الأمثال) ثم ما لبث أن تطورت غايات هذا العلم في القرن الثالث الهجري فاتجهت اتجاهاً أدبياً صرفاً، وعندئذٍ عرفت أمثال العامة والمولدين طريقها إلى التدوين في هذه المصنفات دون حرج لغوي. . والجدير بالذكر كذلك أن أمثال العرب، لم يكن يقصد بها لذلك العهد ـ أي أبان عصر الرواية أو الجمع والتدوين ـ إلا الأمثال البدوية، فهي من هذه الناحية ـ على فصاحة لغتها وسمو تعبيرها ـ أمثال شعبية بالمعنى الدقيق، مفهوماً ووظيفة. ومن هنا تتجلى قيمتها التاريخية والعلمية والمنهجية لدارسي الفولكلور.

سادساً: التراث الديني:

نقصد بالتراث الديني هنا الموروث الأسطوري الذي يتعلق **بأديان العرب في الجاهلية**، كما نعني به أيضاً هذا النوع من **القصص الأسطورية** التي لا سند لها من واقع أو تاريخ، وقد عرفت طريقها إلى الموروث الديني تحت اسم **الإسرائيليات** وبخاصة تلك المنسوبة إلى وهب بن منبه وكعب الأحبار، وقد امتلأت بها كثير من كتب التفسير القرآني وكتب القصص النبوي أو قصص الأنبياء، ومن الغريب أن التراثيين العرب من علماء التفسير لم يجدوا غضاضة في تضمينها شروحهم، ذلك أنهم لم يستطيعوا أن يتخلصوا من تأثيرها القصصي العجائبي الخارق والتي كانت تشبع نهم الخاصة والعامة إلى معرفة المزيد من تاريخ الأنبياء وقصص الأمم البائدة وأساطير الأولين على ما فيها من وثنيات وأباطيل لا يقبلها عقل ولا منطق، وقد آن الأوان لأن نعيد النظر في هذه الإسرائيليات الهائلة التي تملأ تراثنا الديني ولا سيما كتب التفسير بالترهات والخرافات التي كان النبي محمد ﷺ أول من حاربها، وكذلك فقهاء المسلمين (وعلى رأسهم أحمد بن حنبل) الذين ذكروا مراراً وتكراراً أن ثلاثة لا أصل لها: التفسير والملاحم والمغازي، ومع ذلك فإن كتب التفسير تفيض بالروايات الإسرائيلية والأقاصيص الأسطورية كما ذكرنا، تماماً كما يفيض تراثنا بالملاحم (ويقصد بها هنا التنبؤ بأحداث الدول ووقائع الملوك ومستقبل الأمم) أما كتب السير والمغازي فهن تلك التي تتضمن ـ ولا سيما في مقدمتها ـ كثيراً من التهاويل والمبالغات والخرافات وبخاصة مروياتها عما قبل الإسلام، ولعل هذا ما حدا بابن هشام إلى تهذيب سيرة ابن إسحق عند روايته لها حتى عرفت باسم سيرة ابن هشام، مع أنه مجرد راوية لها، بل أن سيرتها ذاتها، لا تزال تمتلىء بكثير مما يجعلنا ننظر إليه بشيء كثير من الحذر والحيطة الحقيقيين، وعموماً فإن الوضع شائك ـ في ضوء المناخ العلمي السائد ـ **وكل ما أدعو إليه أن يعاد النظر في هذه الإسرائيليات، وما يتبعها من تفسير وملاحم ومغاز، من منظور قصص وفولكلوري، وليس من منظور ديني، تنزيهاً** لتفسير كتاب الله من جهة وللإسلام ونبيه الكريم من جهة أخرى، بل تنزيهاً لفكرة النبوة ذاتها وتقديساً لمبدأ الرسالات السماوية خاصة، واعتقد أنه قد آن الأوان للمبادرة إلى تحقيق ذلك.

وكذلك نقصد بالتراث الديني كل ما يتعلق **بالمذاهب والمعتقدات الدينية والأسطورية الخاصة بغير المسلمين** من أصحاب الحضارات المجاورة أو من أصحاب البلاد التي فتحها المسلمون، واختلطوا أو احتكوا بثقافاتهم الأصلية أو المحلية مثل الثقافة السائدة ـ قبل الإسلام ـ في بلاد فارس وبلاد الروم ومصر والمغرب وأفريقيا، وكان لزاماً على التراثيين العرب أن يفقهوا معتقداتهم ومذاهبهم بشيء كبير من التفصيل إبّان الصراع الشعوبي بينهم وبين الفرس، وأن يقفوا عليها، لفهم ثقافاتهم لأسباب سياسية أو دينية أو اقتصادية أو أدبية أو اجتماعية، ولا سيما بعد أن شرع عامة المسلمين يشاركون أصحاب هذه البلاد المفتوحة في بعض شعائرهم وطقوسهم وبخاصة في احتفالات المواسم والأعياد والأطعمة والأزياء والأشربة والأدوية ومشاركتهم أيضاً

الاعتقاد في تأثير الكائنات الغيبية، العلوية والسفلية، الخارقة، في حياة الإنسان. ويدخل ضمن دائرة التراث أيضاً، كما أعنيه هنا، **كتب الملل والنحل** في التراث العربي، وهذه قائمة بأسماء كتب التراث الديني ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ:

كتاب الأصنام للكلبي، وأديان العرب لليعقوبي، وكتاب الأصنام وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله تبارك اسمه لأبن فضيل الكاتب، وكتاب شرائع الأديان (قبل الإسلام) للبلخي (وله أيضاً كتاب الرد على عبدة الأصنام) وجامع البيان في تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري، وعمدة التفسير لأبن كثير، ومفاتيح الغيب المعروف بالتفسير الكبير لفخر الدين الرازي (وله أيضاً كتاب عصمة الأنبياء، وكتاب فضائل الصحابة، وكتاب الملل والنحل) والكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ومجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي، وتفسير القرآن العظيم للتستري، والتفسير القيم لابن قيم الجوزية، ولباب التأويل في معاني التنزيل للخازن البغدادي، والجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.

ومن كتب التراث الديني عموماً كتاب الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة، وكتاب الدرر الحسان في البعث ونعيم الجنان للسيوطي، وكتاب الروح لابن قيم الجوزية، وكتابه الآخر تلبيس إبليس، وكشف الحجاب والراية عن وجه أسئلة الجان للشعراني، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي. ومن كتب قصص الأنبياء حسبنا أن نشير إلى سيرة ابن هشام، وعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس وكتاب قصص الأنبياء أو خلق الدنيا وما فيها لأبي الحسن محمد الكسائي، وكتاب العرائس في قصص الأنبياء للثعلبي النيسابوري، ودلائل النبوة للبيهقي، ودلائل النبوة للأصفهاني، وقصص الأنبياء لابن كثير. ويبدو أن قصص الأنبياء قد صيغت شعراً أيضاً، إذ يذكر السبكي في طبقاته (٢: ١٠٨) أن أبا رجاء الأسواني (ب ٣٣٥ هـ) له قصيدة (واحدة) ذكر فيها أخبار العالم وقصص الأنبياء بلغت مائة وثلاثين ألف بيت شعر؟! وبالطبع فإن هناك الكثير من المصادر التي تتناول حياة الأنبياء والأولياء والزهاد، حياة كل منهم على حدة في كتاب مستقل، وكذلك بعض القصص الديني مثل قصة يوسف والعزيز وزليخة، وقصة أصحاب الكهف، وقصة طسم وجديس، وقصة عاد الأولى، وقصة هبوط آدم، وحديث آدم وولده، وقصة النبي موسى.. الخ ومعظمها مجهول المؤلف، مما يشي بأصلها الإسرائيلي أساساً، **ولا حرج في أن نشير إلى أن كتب الفقه تتناول كثيراً من جوانب الحياة اليومية في المجتمع الشعبي المسلم**، هذه الجوانب التي تدخل اليوم في صميم الدراسات الفولكلورية كالعادات والتقاليد، وأنماط السلوك، والأطعمة والأشربة وآدابها والنذور وآداب الزيارة والمائدة والنظافة، والأضاحي، ودورة الحياة (من الميلاد إلى الزواج إلى الوفاة).. الخ وليس ثمة تناقض بين موضوعات كتب الفقه وحياة المجتمع الشعبي المسلم من الناحية الفولكلورية، **فالإسلام هو بؤرة الثقافة العربية التي يعد الفولكلور أبرز جوانبها**، وقد أشار ابن النديم في فهرسته (ص **٢٠٩** وما بعدها) إلى مجموعة كبرى من هذه الكتب الفقهية (بعضها محقق الآن) ذات صلة وثيقة بأنماط السلوك والعادات والتقاليد المشروعة وغير المشروعة، الحلال والحرام، الأوامر والزواجر، والمواعظ والآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المسلم البسيط في حياته اليومية وتحدد علاقته بالآخرين.

أما بالنسبة للمصادر التي تحدثت عن التراث الديني لغير المسلمين وتفيض بالموروث الأسطوري الديني الوثني، فهي كثيرة، ويمكن العودة إليها في فهرست ابن النديم تحت عنوان المذاهب والمعتقدات (ص ٣١٨ ـ ٣٥١).

أما في مجال **الملل والنحل** فحسبنا أن نشير إلى كتاب الملل والنحل للشهرستاني، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي، والفرق بين الفرق للبغدادي، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة للبيروني.. وهذه المؤلفات كلها يمكن الإفادة منها في مجال الدراسات الفولكلورية والأثنوجرافية والأثنولوجية بما في ذلك دراسة الأديان المقارنة.

سابعاً: التراث الصوفي

على الرغم من أن كثيراً من الباحثين المحدثين يؤثرون الفصل أو التمييز بين ما يسمى بتصوف الخاصة أو الصفوة، وتصوف العوام أو التصوف الشعبي، وبالرغم من أنهم ينتصرون للنوع الأول، ويرونه اتجاهاً إيجابياً، ويتهمون النوع الثاني بالإغراق في الشعوذة والدجل والإيمان بالخرافات والغيبيات، ويرونه اتجاهاً سلبياً، فإننا نرى التصوف ـ بنوعيه ـ اتجاهاً شعبياً في توجهاته ودوافعه وغاياته، ولا سيما في العصرين المملوكي والعثماني ـ

لأسباب لا مجال لذكرها هنا ـ ولهذا فليس محض مصادفة أن يطلق المجتمع الشعبي العربي على كثير من شيوخ التصوف لقب «السلطان» بكل ما يعنيه ذلك من سلطة روحية قاهرة، خضعت لها المجتمعات والطوائف والأصناف الشعبية عن رضا وطواعية، بعد أن فقدت الثقة في «سلطانها» السياسي، الدنيوي، أبان عصور الأفول الحضاري للعرب، وأيا ما كان الأمر، فإن جل ما يعنينا هنا أن التصوف ـ لتلك العهود ـ كان يشكل تياراً فكرياً غلاباً، فتمكن ـ بذلك ـ من تشكيل الوجدان العربي الجمعي بكل أبعاده الرافضة أو المتمردة أو المحبطة، الأمر الذي انعكس على ثقافة المجتمع المادية والفنية، وعلى شعائره وطقوسه الجماعية، ومعارفه وتصوراته ومعتقداته الشعبية، فضلاً عما انعكس على أدبيات التصوف عامة، وتراثه الأدبي والشعري خاصة، فكان ديوان الشعر الصوفي، وكان الغناء الصوفي، وكان القصص الصوفي الذي يفيض بالمعجزات والكرامات والخوارق... إلى غير ذلك من إبداعات فنية وأدبية تعني الباحثين الفولكلوريين... ولأن إبداع التراث الصوفي الشعبي لم يدون إلا من خلال تراث كبار رجالات التصوف التي تزخر بها مكتبتا التراثية، من مثل:

قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي، وقرة العيون ومفرح القلب الحزين للسمرقندي (وله أيضاً بستان العارفين، وتنبيه الغافلين) وروض الرياحين في حكايات الصالحين لليافعي، ومكاشفه القلوب للكاشي، ومشارق أنوار القلوب لابن الدباغ، ونزهة الأرواح وروضة الأفراح للشرزوي، ومدارج السالكين لابن قيم الجوزية، وروضة الناظرين للوتري، والروض الفائق في المواعظ والرقائق للحريفيش، وجامع كرامات الأولياء للنبهاني، وبهجة النفوس لابن عطاء الله السكندري، والتعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذي، واللمع للسراج، والأنوار القدسية في معارف قواعد الصوفية للشعراني (ومؤلفاته عموماً) والصوفية والفقراء لابن تيمية، وكتاب الفلاكة والمفلوكين لشهاب الدين أحمد بن علي الدلجي (الفلاكة لفظ فارسي، يعني الفقر والفقراء) بالإضافة إلى مؤلفات كبار المتصوفة ودواوينهم الشعرية، مثل ابن عربي والتستري والحلاج وغيرهم... إلى جانب مجموعة كبرى من التصنيفات الصوفية المجهولة المؤلف، وتتمحور عنواناتها تحت قسمين كبيرين أحدهما دلائل الخيرات، والآخر مجموعة الأوراد الكبرى، وذلك كله أمر يعني باحثي الفولكلور.

ثامناً: التراث التاريخي

وكتب المغازي والسير وفتوح البلدان

وكتب الأنساب والطبقات والتراجم

لا يكاد يضارع التراث الديني والتراث اللغوي والأدبي في المكتبة العربية التراثية شيء سوى كتب التراث التاريخي، فالمكتبة التراثية ـ كما نعلم ـ تحفل بالمئات من المصادر التاريخية الكبرى، ذات الطابع الموسوعي أحياناً، والمعجمي أحياناً أخرى، فهي إلى جانب قيمتها التاريخية تحفل بالوقائع والأحداث ذات الطابع الفولكلوري، وتشير إلى مختلف الطبقات والفئات وأصحاب المهن والحرف والصناعات الشعبية، وأدواتها، وتراثها الأدبي والفني والاجتماعي، وتفصح عن ثقافة أصحابها، ومن ثم ثقافات الشعوب التي ينتمون إليها (طرائق معيشتها وعاداتها وتقاليدها ومعارفها ومعتقداتها وأساطيرها وفنونهم وأنماط سلوكها... الخ). مما يفيد منه المعنيون بدراسة الفولكلور من منظور رأسي تاريخي مقارن، وكذلك المعنيون بدراسة التاريخي الاجتماعي والحضاري للشعب العربي. ولعل من أهم كتب **التاريخ العام والمغازي والسير وفتوح البلدان**: سيرة ابن هشام والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر، والأخبار الطوال للدينوري، وفتح مصر لابن زنبل، وفتوح الشام للواقدي، وفتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم، وقصة فتوح البهنسا (تاريخ شعبي) والفتح القدسي للعماد الأصفهاني، وكتاب البدء والتاريخ للمقدسي، وكتاب التيجان لوهب بن منبه، وكتاب أخبار ملوك اليمن لعبيد بن شريه وكتاب الأكليل للهمداني وتاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء لحمزة الأصفهاني، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ الأمم والملوك للطبري، وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات، والمختصر في تاريخ البشر لابن الفدا، وتتمته لابن الوردي، والأعلام بتاريخ الإسلام لابن قاضي شهبة، والبداية والنهاية لابن كثير، والكامل لابن الأثير، وكتاب التنبيه والأشراف للمسعودي (في أخلاق الشعوب) وكذلك له كتاب أخبار الزمان، وكتاب تجارب الأمم لابن مسكويه، وتاريخ اليعقوبي، والتاريخ الكبير لابن عساكر وعيون التواريخ لابن شاكر، والسلوك لمعرفة دول الملوك للمقريزي، والتبر المسبوك للسخاوي، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزية والأوراق للصولى، ومنتجات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور لأبي

المحاسن بن تغري بردى، وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن أياس، وكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر لابن خلدون، والعبر في أخبار من غبر، وتاريخ دول الإسلام للذهبي، ومرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي، ومرآة الزمان لابن الجوزية، وعجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي.

وإذا كانت المصادر السابقة في البدء والتاريخ العام، فثمة عدد كبير آخر، في **التاريخ الخاص** ببعض العواصم والأمصار العربية من مثل: أخبار مكة للأزرقي وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وبغداد لطيفور، والفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، وكتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابي المحاسن ابن تغري بردى، وتاريخ مصر وولاتها للكندي، وأخبار مصر لابن ميسر، وحسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي، ونزهة الأيام في محاسن الشام للبدري، ومثير الغرام بفضائل القدس والشام للمقدسي، والأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل لمجير الدين، والدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب لابن شحنة، والسير الحلبية لابن برهان الحلبي.. ثم كتاب المغرب لابن سعيد، وكتاب نفح الطيب في غصن الأندلسي الرطيب للمقري، والمؤنس في أخبار أفريقيا وتونس لابن أبي دينار القيرواني، وكتاب تاريخ المن بالأمامة على المستضعفين (في أخبار الدولة الموحدية) لابن أبي صاحب الصلاة، ويلحق بهذه المؤلفات التاريخية أيضاً مجموعة من الكتب التي صنفها التراثيون العرب تحت عنوان كتب الأوائل، التي تعالج التاريخ القديم لكثير من الأمم والشعوب معالجة أسطورية (قبل الإسلام) مثل كتاب الأوائل لأبي هلال العسكري (في تاريخ الفرس) وكتاب الأوائل لابن قتيبة، وكتاب الأوائل للحسن بن محبوب وغيرها من مؤلفات البدء والتاريخ التي نهج أصحابها المنهج التقليدي في التاريخ العربي الذي يؤثر أصحابه أن يمهدوا لمؤلفاتهم بالحديث عن تاريخ البشرية منذ البدء، منذ هبوط آدم من الجنة حتى عصرهم.. الأمر الذي جعل مقدمات هذه الكتب حافلة بالتراث أو التاريخ الأسطوري.. فضلاً عن أصحاب الكتب التاريخية المبكرة، مثل التيجان، وأخبار ملوك اليمن وتاريخ الطبري والمسعودي وغيرهم كثير، لم يكن يميزون كثيراً بين القص والتاريخ، فكان أن امتزج لديهم القصص بالتاريخ والخيال بالواقع والوهم بالحقيقة، فإذا ما وضعنا في الاعتبار أن مصادرهم الأساسية هي الروايات الشفاهية الموروثة، استطعنا أن نقول دون حذر كبير **إن هذه المادة شبه التاريخية التي تتضمنها مقدمات مؤلفاتهم التاريخية هي في آخر الأمر** مادة فولكلورية في المقام الأول. وكان هذا هو سر الحملة التي حملها ابن خلدون على معظم المصادر التاريخية القديمة..

أما على مستوى **تاريخ القبائل والأنساب**، فحسبنا أن نشير إلى جمهرة أنساب العرب لابن حزم، وأنساب العرب للسمعاني، وكتاب نسب قريش للمصعب الزبيدي، وأنساب الأشراف للبلاذري، واللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير، وجمهرة أنساب قريش للزبير بن بكار، ونهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي، كما يلحق بهذا النوع من المؤلفات طائفة أخرى من كتب التراث يدور موضوعها حول **المفاخر والمآثر والمنافرات القبلية**، مثل كتاب المنافرات بين القبائل وأشراف العشائر وأقضية الحكام بينهم في ذلك، لابن الحسن النسابة، كما يلحق بها أيضاً طائفة من الكتب، موضوعها يدور حول **مناقب الأمم ومثالب الدول**، مثل كتاب مفاخر العرب والعجم، وكتاب مناقب الترك، ومفاخر الفرس، أو العكس، مثل كتب مثالب الفرس، أو مثالب العرب، التي ازدهرت أبان الصراع الشعوبي، وغير خاف أهمية مثل هذه المؤلفات في دراسة أنساق القرابة العربية ومدلولاتها الاجتماعية، أو في دراسة ثقافات وفولكلور الشعوب والدراسات الأثنوجرافية والأثنولوجية.

اما على مستوى **كتب الطبقات والتراجم**، فحسبنا أن نؤكد أن المكتبة العربية التراثية حافلة بهذا الضرب من الموضوعات احتفالاً كبيراً، قائماً على التصنيف المعجمي أو الزمني أو سني الوفاة، أو المهن والحرف، أو المعتقدات والمذاهب.. أو الأقاليم.. الخ. ومن هذه المصادر على سبيل المثال لا الحصر:

أخبار العلماء بأخبار الحكماء، وإنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي، وإرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الشعراء لياقوت الحموي، وطبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل (ت ٣٧٧ هـ) وعيوب الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، ووفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، والوافي بالوفيات للصفدي، وفوات الوفيات لابن شاكر، وخريدة القصر وترجمة أهل العصر للعماد

الأصفهاني، ومعجم الشعراء للمرزباني، ومعجم الشعراء للصولي، وطبقات الشعراء لابن المعتز، وطبقات فحول الشعراء لابن سلام، وكتاب المعمرين من العرب للسجستاني، وبغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس لأحمد بن يحيى، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصفهاني، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، والدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، والضوء اللامع لأهل القرن التاسع للسخاوي، وخلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبي، والطبقات الكبرى لابن سعد، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والاستيعاب لابن عبد البر، وأسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، والإصابة في تمييز الصحابة، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، وتذكرة الحفاظ للذهبي، وطبقات أو تذكرة الحفاظ للسيوطي، وطبقات الشافعية للسبكي، وطبقات الشافعية للاستوي، والفوائد البهية في تراجم الحنفية، وطبقات النساك لابن سعيد الأعرابي، والطبقات الكبرى للشعراني... الخ. وهذه التراجم للأعلام، هي، في آخر الأمر، إلى كونها تعكس ثقافات العصور والأمصار، تحوي ثروة أدبية وفنية كبرى، وتفيد في الحالين المعنيين بدراسة الفولكلور عامة، والأدب الشعبي خاصة.

تاسعاً: التراث الجغرافي وكتب تقويم البلدان والرحلات وغرائب الموجودات وعجائب المخلوقات

كثيرة هي المصادر الجغرافية التي احتفى أصحابها بوصف الشعوب، والثقافة والحياة الشعبية ـ في ضوء المعطيات المناخية والبيئية ـ لكثير من البلدان والأمصار والمناطق، العربية وغير العربية، الإسلامية وغير الإسلامية على السواء، مما يوفر مادة فولكلورية وثقافية ثرّة للمعنيين بذلك. من هذه المصادر:

صورة الأرض لابن حوقل، وصورة الأقاليم للبلخي، وكتب المسالك والممالك والمغاوز والمهالك لابن حوقل، والمسالك والممالك لابن خرداذبه، والمسالك والممالك للأصطخري، ومسالك الأبصار في ممالك الأمصار للعمري، وزبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك للظاهري، والمغرب في بلاد أفريقيا والمغرب للبكري، ونزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي وتقويم البلدان المعروف بجغرافية أبي الفدا، والبلدان لليعقوبي، ومعجم البلدان لياقوت الحموي (ويتضمن ثروة أدبية وفولكلورية هائلة) والأعلاق النفسية لابن رسته، ثم هناك آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني، والآثار الباقية من القرون الخالية للبيروني، والمواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي، وكذلك تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات المباركات للسخاوي، وكذلك كتب الدّيارات، وعلى رأسها كتاب دّيارات الشابشتي الذي يفيض بوصف الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والأدبية الخ...

كذلك يتصل بتراثنا الجغرافي تراث الرحلات الاستكشافية، والجغرافية والعلمية والتأريخية، التي اهتم بها الرحّالة العرب، وعنوا منها بوصف الشعوب وطقوسها ومعتقداتها وأساطيرها وثقافاتها وآدابها القصصية (مثل قصص السندباد وقصة أو رحلات المقررين ورحلة اكتشاف سد يأجوج ومأجوج) وأعيادها ومواسمها وشعائرها... الخ مما يوفر مادة علمية ضخمة لعلماء الأنثربولوجيا، والأثنوجرافيا والأثنولوجيا، والفولكلور، جميعاً.. ومن هذه الرحلات: رحلة سلام الترجمان، رحلة ابن موسى المنجم، وكتاب مستفاد الرحلة والاغتراب للتجيبي...، رحلة سليمان التاجر، رحلة ابن وهب القرشي، رحلة اليعقوبي، رحلة ابن فضلان، رحلة ابن حوقل، رحلة المقدسي، رحلة أبي دلف، رحلة عبد اللطيف البغدادي، رحلة البيروني، رحلة ابن بطلان، رحلة المسعودي، رحلة أسامة بن منقذ، رحلة الهروي، رحلة ابن خلدون، ورحلة التجاني، ورحلة ابن جبير، ورحلة الخيّاري المعروفة بتحفة الأدباء وسلوة الغرباء. كما يلحق أيضاً بهذا اللون من التراث ـ ولنفس الأسباب والغايات السابقة ـ كتب العجائب والغرائب، مثل: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني (ولهذا الكتاب أيضاً قيمة بالغة للمعنيين بدراسة الطب، والأدوية والأغذية الشعبية عند العرب وغيرهم) وكذلك كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر للدمشقي المعروف بشيخ الربوة، وكتاب عجائب الهند، بره وبحره وجزايره للناخذاه الرامهرمزي بزرك بن شهريار وكتاب خريده العجائب وفريدة الغرائب لابن الوردي، وكتاب الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة في أرض مصر (أو رحلة البغدادي السابقة) وتحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار المعروفة برحلة ابن بطوطة، وكذلك رحلة السيرافي إلى الهند والصين (أنظر أيضاً للأهمية أدب الرحلات كمصدر

أتنوجرافي للتراث الشعبي، حسين فهيم).

وليس من شك في أن البحث الجغرافي المعاصر، قد تجاوز كثيراً المادة العلمية التي وردت في هذه المؤلفات جميعاً، وبدت عندئذٍ وكأنها مجرد أساطير وأشباه أساطير... ومن هنا فإن القيمة الحقيقية لهذه المؤلفات تكمن فيما تتضمنه من مادة أثنولوجية وأثنوجرافية وفولكلورية، ومن الطريف أيضاً أنها هي نفسها التي تفسر كما تفنّد لنا كثيراً من الترّهات والأساطير التي كانت تؤمن بها الشعوب كالتنين أو غيره من الحيوانات الأسطورية والكائنات الخرافية، باعتبارها في الواقع العلمي ـ مجرد ظواهر مناخية وبحرية معروفة لأرباب البحر وربابنته.

عاشراً: التراث السياسي والاقتصادي والأخلاقي:

يحفل التراث العربي كذلك بمجموعة من ذخائر الكتب التي تعنى بأدبيات السياسة والاقتصاد وما يرتبط بهما أيضاً من أدبيات اجتماعية وأخلاقية عامة. وتكمن أهميتها في بيان علاقة العامة أو الطبقة المحكومة بالطبقة الحاكمة، وما ينبغي أن يكون عليه «المواطن الصالح» من الرعية من وجهة نظر السلطان.. كما تكمن أهمية بعض هذه المؤلفات، ولا سيما كتب الخراج والحسبة ـ في بيان الوضع الاقتصادي والكشف عن المهن والصناعات الشعبية وسائر الأصناف والطبقات الشعبية، وعاداتها وتقاليدها المهنية وإبداعاتها الأدبية والفنية، وأدواتها الإنتاجية وأوضاعها الاجتماعية... الخ.

ومن هذه المؤلفات، في السياسة: كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة وكتاب السياسة لابن حزم، والأحكام السلطانية للماوردي، والأحكام السلطانية لأبي يعلى الفراء، وبدائع السلك في طبائع الملك لابن الأزرق، وسلوك المسالك في تدبير الممالك لابن أبي ربيع، والطرائق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية، وقواعد الأحكام في مصالح الأنام للشيخ عز الدين بن عبد السلام، وسراج الملوك للطرطوشي، والتاج في أخلاق الملوك للجاحظ، والسياسة المدنية للفارابي، والمنهج المسلوك في سياسة الملوك للشيزري، والتبر المسبوك في نصائح الملوك للغزالي، والفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي، وتحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة، وكتاب تحفة الأمراء في أخبار الوزراء لأبي الحسن الهلالي، وكتاب الوزراء للصولي، والوزراء والكتاب للجهشياري، وأدب الوزير للماوردي، وكتاب الإشارة إلى من نال الوزارة لأبي القاسم الصيرفي، وكتاب قوانين الدولة لابن ممّاتي، وكتاب الولاة والقضاة للكندي، وأدب القاضي للماوردي، وكتاب الاقتضاب في أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي، وكتاب السياسة الكبير والصغير للسرخسي، وكتاب الأدب الكبير والصغير لابن المقفع بمدلولاته وأفكاره السياسية الناضجة في مجال أدبيات السياسة وتحديد العلاقة بين الراعي والرعية، على أساس من العدل والمساواة ومعرفة الحقوق والواجبات.

أما على مستوى المؤلفات التي عالجت قضايا المال والاقتصاد وما يرتبط بهما من أدبيات، فهي كثيرة منها: الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام، والخراج لأبي يوسف، والخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر، والخراج ليحيى بن آدم القرشي، الاستخراج لأحكام الخراج لابن رجب الحنبلي، والإشارة إلى محاسن التجارة لأبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي، وكتاب أكرية السفن (عن القانون التجاري البحري من القرن الرابع الهجري) تأليف خلف بن أبي فراس، وهو محقق أيضاً. وكتاب معالم القرية في أحكام الحسبة لابن الأخوة، ونهاية الأرتبة في طلب الحسبة للشيرزي، والحسبة في الإسلام لابن تيمية، وآداب الحسبة للسقطي... الخ.

أما فيما يتعلق بالأخلاق العامة (للرعية الصالحة) فثمة مؤلفات كثيرة منها: أدب الدنيا والدين للماوردي، والآداب النافعة لجعفر بن شمس الخلافة الأفضلي، والمدخل إلى تنمية الأعمال بتحسين النيّات من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة لابن الحاج المغربي (ويقع في أربعة أجزاء تكاد تكون متفردة في وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مصر، في مصر، في أوائل القرن الثامن الهجري) وكتاب الحكمة الخالدة أو تهذيب الأخلاق لمسكويه، وكتاب مداواة النفوس في تهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل لابن حزم، وكتاب الزواجر في النهي عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي، وهناك أيضاً مجموعة الرسائل الكبرى في هذا المجال، مثل رسالة الصحابة لابن المقفع، ورسالة في الصداقة لأبي حيان التوحيدي، ورسائل الجاحظ، وأبي العلاء المعري، والغزالي، والهمذاني، والصابي، والخوارزمي وغيرهم كثير.

ويبقى أن نفرد الإشارة إلى ثلاثة كتب فريدة في هذا

الباب، باب التراث السياسي والاقتصادي والاجتماعي الأخلاقي النفسي، إبان عصور المماليك، هي: كتاب معيد النعم ومبيد النقم للسبكي، وكتاب إغاثة الأمة في كشف الغمة للمقريزي، بالإضافة إلى كتاب مشاكلة الناس لزمانهم لليعقوبي (تحقيق وليم ملورد - بيروت، ١٩٦٢).

حادي عشر: التراث الطبي وكتب الأمراض والأدوية والعقاقير والطب النبوي أو الشعبي العربي

إلى جوار الطب المزاجي (العلمي) الذي كان يمارسه الفلاسفة والحكماء وعلماء التنجيم، كان هناك ما يسمى بالطب البدوي، أو العربي (الشعبي) الذي عرف أيضاً باسم الطب النبوي، وقد شاع التأليف فيه، الأمر الذي حدا بابن خلدون أن يعترض على هذه التسمية، تنزيهاً لرسول الله ﷺ الذي بعث كما يقول «ليعلمنا الشرائع، ولم يبعث لتعريف الطب ولا غيره من العاديات» اللهم إلاّ إذا «استعمل على جهة التبرّك وصدق العقد الإيماني، فيكون له أثر عظيم» على حد تعبيره في المقدمة (ج٣ ص ١٢٤٤، تحقيق علي عبد الواحد وافي، ط ٢) وأياً ما كان الأمر، فما أكثر المؤلفات، في النوعين، الطب المزاجي العلمي، والطب البدوي الشعبي، والتي تتناول الأمراض، والأدوية، والعقاقير والأغذية، ويمكن أن يفيد منها أعظم الفائدة المعنيون بدراسة الطب الشعبي وطرائق التداوي بالأعشاب والنباتات، كما يفيد منها أيضاً المعنيون بدراسة المعتقدات والعادات الشعبية كالإصابة بالعين والتفسير الغيبي للأوبئة والطواعين التي تجتاح بعض المناطق دون غيرها، وكذلك المهتمون بالعلاج بالرقى والتعاويذ والتمائم (ولنصوصها قيمة أدبية تعني دارسي الأدب الشعبي أيضاً) ومعالجة الأمراض النفسية كالصرع (الطب النفسي) الذي كان العرب قديماً يعتقدون أنه ناجم عن دخول الشياطين والأرواح الشريرة في جسم الإنسان وسكنت فيه، وكذلك المهتمون بالعلاجات السحرية من الباحثين التي كانت تشكل قديماً اعتقاداً كبيراً، ليس فقط لدى المجتمعات الشعبية، بل أيضاً لدى أصحاب الطب المزاجي (العلمي) من الفلاسفة والحكماء أنفسهم (إذ كانوا يؤمنون، شأنهم شأن سائر الشعوب، بالعلاقة بين الطب وعلم السحر وكذلك بينه وبين علم التنجيم) وعموماً فهذه قائمة بأشهر المؤلفات من القول في حفظ الأسنان واستصلاحها، وكتاب الفصد لاسحق بن عمران، وكتاب المعدة وأمراضها ومداواتها لابن الجزار، وتذكرة الكحالين (مجهول المصنف) وكتاب «تدبير الحبالي والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواتهم من الأمراض العارضة لهم» لأحمد بن محمد البلدي، وكتاب «خلق الجنين وتدبير الحبالى والمولدين» لابن سعيد القرطبي، وكتاب المرشد للتميمي (وجميع هؤلاء الأطباء كانوا يؤمنون، كما يوصون مرضاهم، بالعلاجات السحرية).

كذلك حفظت لنا المكتبة التراثية عدداً من الكتب يصل إلى اثني عشر كتاباً يطلق عليها أصحابها كتب **المجرّبات**، قليل منها معروف المؤلف مثل «بغية المحتاج في المجرب من العلاج» لداود الأنطاكي ومعظمها غير معروف المؤلّف، نظراً لعلاقة هذا النوع من العلاج بعلوم السحر والتنجيم آنذاك. وهناك أيضاً طائفة من الكتب الطبية المتخصصة في الأمراض التناسلية والجنسية وعلاجاتها، كذلك هناك بعض المنظومات الطبية التي تندرج تحت **النظم التعليمي** مثل أشعار ابن سيناء في الطب والشفاء. أما في مجال كتب العقاقير أو **العلاج بالأدوية والأغذية والأعشاب والنباتات**، فهي كثيرة، منها: تفسير أسماء الأدوية المفردة لابن جلجل، وكتاب أعيان النبات والشجريات الأندلسية لأبي عبيد البكري، والجامع لصفات أشتات النبات للادريسي، ومرادفات الأدوية لابن ميمون، والحاوي في علم التداوي للشيرازي، والجامع لمفردات الأدوية والأغذية لابن البيطار، وشرح أسماء القار لابن عمران القرطبي، ومنافع الأدوية ودفع مضارها للرازي، وهذا الكتاب العظيم «الأغذية» لحنين بن إسحق والداء والدواء لابن قيم الجوزية، وهذا الكتاب الذي لا يزال مشهوراً في المجتمعات الشعبية العربية باسم تذكرة داود، واسمه بالكامل تذكرة أولى الألباب، والجامع للعجب العجاب لداود الأنطاكي «كما يزودنا ابن النديم بقائمة كبرى من المؤلّفات الطبية التي ضاع معظمها» (الفهرست ص ٢٨٦ - ٣٠٣، طبعة بيروت المصورة عن طبعة فلوجل) ومن بينها أول معجم في العقاقير، هو «كتاب الأدوية المفردة على الحروف» لاسحق بن حنين (الفهرست، ص ٢٩٨).

ثاني عشر: التراث العلمي:
علوم التنجيم والطلسمات والسحر والكهانة والزجر والملاحم والزايرجة وأسرار الحروف والسيمياء والكيمياء

ثمة طائفة كبرى من العلوم التراثية عرفت باسم العلوم العقلية تفرقة لها عن العلوم النقلية أو الشرعية، كما عرفت أيضاً باسم العلوم الحكمية أو علوم الفلسفة والحكمة «التي كانت للأمم التي قبلهم» مثل فارس والروم والكلدانيين والسيريانيين ومن عاصرهم من القبط. وهذه العلوم العقلية كما صنفها الفلاسفة أربعة أصناف: المنطق والرياضيات والطبيعيات والإلهيات، وتتفرع عن كل من هذه العلوم الأمهات فروع تتفرع عنها، ويعنينا منها في هذه الفقرة تلك العلوم الفروع التي تتناول المغيبات من المرئيات والمسموعات التي وصفها ابن خلدون في مقدمته بقوله: «وهذه العلوم كلها موجودة في عالم الإنسان، لا يسع أحداً جحدها ولا إنكارها» (١: ٥٢٦) وتشمل:

أ ـ علوم السحر والطلسمات والكهانة والعرافة والفراسة والعيافة وزجر الطير وأهل الأثر وأصحاب القرانات وإدراك الغيب بالرياضة والإدراك الروحاني والتنجيم واستخراج الغيب عن طريق حساب الجمّل والسيمياء والطب الروحاني والإنفعال الروحاني والإنقياد الرباني، والإصابة بالعين، وفتح المندل وخط الرمل وقراءة الكف والشعوذة أو الشعبذة.

ب ـ علم أسرار الحروف والصناعات المتفرعة عنه كالإطلاع على الأسرار الخفية والزايرجة واستخراج الأجوبة من الأسئلة والمعاياة وحساب النيم.

جـ ـ حدثان الدول والأمم وما يرتبط بذلك من نبوءات سياسية كالملاحم والكشف عن مسمى الجفر.

د ـ علم الكيمياء أو علم جابر (بن حيان) كما كان يسمى أيضاً (وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك. ويهدف إلى تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن رفيعة (وأياً ما كان رأي الفلاسفة في ذلك كالفارابي وابن سينا، فإن هذا العمل لا يكون إلا بالطرق السحرية، كما يقول ابن خلدون، لمزيد من التفصيل، أنظر مقدمته ٤: ١٢٢٤).

ومن الجدير بالذكر أن هذه العلوم جميعاً ليست من العلوم المشروعة في الإسلام، ومعظمها مستحدث بعده، وما هي إلا مغالط يجعلونها كالمصائد لأهل العقول المستضعفة... وقد ولع بها الخواص وأذاعوها بين الملوك والسوقة لهذا العهد (مقدمة ابن خلدون ١: ٥٤٠) والتطلع إلى هذا طبيعة للبشر، مجبولون عليها (المقدمة ٢: ٩٢٩) ومن ثم فابن خلدون على الرغم من رفضه لتعاطي هذه العلوم عقلياً ونقلياً، فإنه يرى أنها حقيقة واحدة ووجود السحر لامرئيَّةَ فيه بين العقلاء وقد نطق به القرآن، كما يقول، غير أن ممارسة هذا العلوم السحرية مهجور من جميع الشرائع لما ينطوي عليه من «كفريات وشرك» ولما فيها من الضرر، ولما يشترط فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره (المقدمة ٣: ١٢٤٧) أما وجهة تحريم الكيمياء فلأسباب اقتصادية وأخلاقية، إذ تهدف لغاية من هذا العلم إلى تزييف العملة وهو ما يقوض دعائم العمران كما يقول ابن خلدون (٤: ١٢١٥) ومع ذلك فهي «من المفكرات الفاشية في الأمصار» (٢: ٩٢٩) وكتب فيها كثير من العلماء والفلاسفة والحكماء.. ورفضها البعض الآخر، ومنهم ابن خلدون نفسه الذي وقف منها موقفاً نقدياً، فرصد هذه العلوم «المحظورة» ووقف على أسرارها ثم أخضعها للنقد الموضوعي والتحميص العقلاني والدرس العلمي، وأفرد لها حوالي ربع صفحات مقدمته ـ على طولها ـ كذلك عالجها غيره من العلماء العرب، وأصدروا بشأنها أحكامهم (أنظر مفاتيح العلوم للخوارزمي، وإحصاء العلوم للفارابي).. وأياً ما كانت نتائج هذه المعالجات العلمية ـ سلباً وإيجاباً ـ لهذه العلوم السحرية، **فإن الدرس المنهجي والعلمي الذي ينبغي ألا يغيب عنا في هذا المقام هو ألا نقف من الفولكلور أو المأثورات الشعبية ـ كما يفعل البعض ـ موقفاً رافضاً منذ البداية، بحجة أنها مأثورات رجعية ومتخلفة... الخ. دون أن نجمعها أو نخضعها بادىء ذي بدء ـ للدرس العلمي والتحليل الموضوعي، ودون أن نتسرع في إصدار أحكام حمقاء في بعض الأحايين**، وعليه فنحن ـ المعاصرين ـ أمام حقيقة واقعة، وهي أن المكتبة التراثية العربية لا تزال حتى اليوم تزخر بالكثير من المؤلفات التي تتناول هذه العلوم السحرية وصنعتها، بعضها منثور، وبعضها منظوم.. ومن أمهات هذه المؤلفات ما يلي: المدخل في صناعة التنجيم للقبيصي، مصنفات ورسائل ابن سينا في علم الحروف ورسائل ابن عربي مثل قرعة الطيور لاستخدام الفأل والضمير، ورسالة مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار

والعلوم، وعلم النجوم للبلخي (وله أيضاً كتاب القوارع) وكتاب فرج المهموم في تاريخ النجوم لابن طاروس، والتفهيم في أصول التنجيم للبيروني، ورسالة في السيميا لابن الحاج المغربي (وله أيضاً كتاب سحر وطلاسم القاهرة، ورسائل البوني المشهورة مثل رسائله في أحكام الرمل وخصائص الكواكب ودلائل البروج، وله أيضاً كتابه الذائع «شمس المعارف الكبرى» أو شمس المعارف ولطائف العوارف في علم الحروف والخواص (ويعد هذا الكتاب عمدة كتب السحر حتى اليوم) والمدخل إلى صناعة التنجيم للصيمري (وله أيضاً كتاب أحكام النجوم) وكتاب الفراسة للرازي (وله كذلك رسالة في الحكم على أسرار الكف) وكتاب الوجيز في السحر والمعجزة للكرماني، وكتاب البيان عن الفروق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات لأبي بكر الباقلاني، والدر المنظوم وخلاصة السر المكتوم في السحر والطلاسم والنجوم (جزآن) للكشناني، وكتاب الذهب الأبريز (في علم الرمل) لابن زنبل الرمال، وكتاب القيافة والفأل والزجر للمدائني (ت ٢٢٥ هـ) ورسائل جابر بن حيان، وخواص الأحجار للبيروني، وأزهار الأفكار في خواص الأحجار للتيفاشي، وعلم الأكسير (مجهول المؤلف) ومطولة الصنعة الإلهية (الكيمياء القديمة) لابن أبي الأصبع، وفي مجال العلاج الروحاني والنفسي بالطرائق السحرية هناك كتب كثيرة مثل الطب الروحاني للكندي والطب الروحاني للشيرازي والطب الروحاني للجسم الإنساني لإسماعيل المغربي... الخ.

ولأن هذه العلوم (السحرية) محظورة، ومن ثم مؤلفاتها، فإن كثيراً ممن تعاطوها وكتبوا فيها آثروا ألا يذكروا أسماءهم، ومن ثم فكثير منها، مما وصلنا مجهول المؤلف، ومصنفة في المكتبات العربية الكبرى تحت عنوانات مثل: رسائل في علم الجفر والملاحم، رسائل في علم الحروف والأسماء، رسائل في علم الزايرجة، رسائل في الفراسة، رسائل في معرفة خطوط الكف، رسائل في فتح المندل، رسائل في قرعة الرجال والنساء، رسائل في علم الرمل والأشكال الرملية وما فيها من الضمايز و «كتاب الجفر الجامع المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه».

ويزودنا ابن النديم بقائمة لا بأس بها من المؤلفات في هذا الموضوع، بعضها عرف طريقه إلى النشر. (أنظر الفهرست ص. ص. ٢٦٥ ـ ٢٨٥ بشأن المؤلفات في علم الفلك والتنجيم، وكذلك ص. ص. ٣٠٨ ـ ٣١٣ بشأن الكتب المؤلفة في التعزيم والمعزمين والسحرة والطلسمات والمشعبذين وكذلك ص. ص. ٣١٤ ـ ٣١٧ بشأن المؤلفات الخاصة بالتفاؤل والتشاؤم وزجر الطير وكتب التعاويذ والرقي، وكذلك الصفحات ٣١٧ ـ ٣١٨ بشأن المؤلفات الخاصة بالجواهر واستخدام الكنوز والدفائن بالطرق السحرية، وكذلك الصفحات ٣٥١ ـ ٣٦٠ بشأن أهل الكيمياء والصنعاويين من الفلاسفة).

ولا شك في أن هذه المؤلفات التي حسبت طويلاً على تراثنا العلمي لم تَعُدْ لها اليوم قيمة علمية تذكر، اللهم إلا قيمتها الفولكلورية.

ثالث عشر: التراث الفروسي

وكتب الخيل والبيطرة والصيد والبيزرة

لا مراء في أصل الفروسة العربية، بطولةً ورياضةً وصيداً قبل الإسلام وبعده، الأمر الذي فرض نفسه على التراثيين العرب، فكتبوا عن الخيل وأنسابها (ولهم في ذلك قصص أسطوري تعليمي رائع) كما كتبوا عن تقاليد الفروسية العربية وشيم الفرسان وخلائقهم وبطولاتهم وآدابهم في السلم والحرب (ولهم في ذلك تراث ملحمي رائع يعرف في المجتمعات الشعبية باسم السير الشعبية العربية، التي لم تكن في حقيقة أمرها إلا تأريخاً لبطولة هؤلاء الفرسان، وللفروسة العربية، ولثالوثها القيمي الخالد: المرأة ـ الحب ـ الدين (ومن ثم لم يستطع الفارس العربي أن يتسنم ذروة البطولة الملحمية إلا إذا أشهر سيفه جهاداً في سبيل الله دفاعاً عن الإسلام، الأرض والإنسان والمعتقد) كذلك كتب التراثيون العرب عن رياضة الصيد بالخيل، والمطارد والمصائد، وما يتعلق بهذه الرياضة (الشعبية) من آداب الصيد بالصقور والجوارح وقوانينه، فيما عرف لديهم باسم البيزرة، ولهم في ذلك مؤلفات كثيرة، تؤكد شعبية هذه الرياضة في البوادي والحضر على السواء.. كذلك كتبوا عن السيوف والسهام وأنواع السلاح وآلات الحرب وأدوات الفروسية ولوازمها كالسرج، واللجام.. (وهو أمر له قيمته العلمية بالنسبة للحرف والصناعات الشعبية) كما كتبوا أيضاً في أنواع الخيل، واختيارها وأمراضها وعلاجاتها فيما عرف لديهم بعلوم البيطرة.

وكان طبيعياً أن ينعكس عالم الفروسية، بطولةً ورياضةً، على عالم الإبداع الأدبي فكان ـ بذلك ـ لدينا تراث أدبي شعبي رائع يتعلق بعالم الفروسة العربية، والحرب، والحماسة، والصيد، والرياضة... وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع، وأهمية مصنفاته التراثية بالنسبة للمعنيين بدراسة الآداب الشعبية والطبائع والعوايد الفولكلورية. وحسبنا أن نشير إلى بعض المصادر، من مثل:

أنساب الخيل في الجاهلية والاسلام لأبن الكلبي، وكتاب الخيل للأصمعي وكتاب أسماء خيل العرب وفرسانها لأبن الأعرابي، وكتاب السرج واللجام لأبن دريد، وكتاب الفتوة لأبن المعمار (وهو من أكثر الكتب التراثية أهمية في بيان تقاليد الفروسية العربية وقيمها في العصور الوسطى) وكتاب الفروسية، وكتاب الفروسية وعلاج الخيل لبكتوت الرماح (وله أيضاً كتاب علاج الدابة) وكتاب قطر السيل في أمر الخيل للبلقيني، وكتاب الفروسية والبيطرة في علامات الخيل وعلاجاتها لأبي خزام بن يعقوب الخيلي، وكتاب كامل الصناعتين المعروف بالناصري في البيطرة لأبن البيطار، وكتاب الكمال في الفروسية أنواع السلاح وآداب العمل بذلك وصفات السيوف والرماح (مجهول المؤلف) وكتاب السيوف والحديد للكندي، وكتاب القول التام في الرمي بالسهام للسخاوي، وكتاب الفروسية والمناصب الحربية لنجم الدين حسين الرماح المعروف بالأحدب، وكذلك كتاب المجاهدين في العمل بالميادين للاجين الحسامي، وكتاب التدبيرات السلطانية في سياسة الصناعة الحربية لابن منكلي، وكتاب التذكرة الهروية في الحيل الحربية لعلي بن أبي بكر الهروي وكتاب مستند الأجناد في آلات الجهاد لابن جماعة، وتبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء للطرسوسي، وتفريج الكروب في تدبير الحروب للأنصاري.

أما في مجال الصيد والرياضة بالخيل واللعب بها والبيزرة، فيكفي أن نشير هنا إلى كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، وكتاب المنصوري في البيزرة والجمهرة في علوم البيزرة لعيسى بن حسان الأسدي، وكتاب القانون في علم البيزرة وكتاب البزاة والصيد، وكتاب الجوارح والصيد، وكتاب الصيد والجارح، وكتاب الصيد والطرد، وكتاب الصيد والبيرزة، وكتاب البيرزة. وهذه الكتب جميعاً مجهولة المؤلف، غير أن بعضها عرف طريقة إلى النشر العلمي المحقق في السنوات الأخيرة. ولعل أهم كتاب وصلنا في مجال الصيد والطرد هو كتاب المصائد والمطارد من تأليف كشاجم (ت ٣٥٨.) وقد نشره المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٥٤.

رابع عشر: التراث الموسيقي والغنائي

يشكل التراث والموسيقي والغنائي حيزاً كبيراً في المكتبة التراثية، وما يرتبط بعالم الموسيقا والغناء والرقص من وصف لمجالس اللهو والطرب وآلات الموسيقا ووصف الجواري والقيان، ووصف الظرف والظرفاء والمتظرفات وشروط المسامر والنديم، وتقاليدهم وآدابهم، ووصف لطرائقهم وأنماط سلوكهم وأزيائهم وحليهم ووصف لأدوات الزينة وأواني الأطعمة والشربة وما يكتب عليها من أشعار، وكذلك وصف الرياحين والورود والهدايا الخاصة، ومجالس الأنس والطرب وما تتضمنه من أثاث ورياش وبسط ووسائد، منقوش عليها بأجمل الخطوط والألوان.. وما يروى عن هذه المجالس من أسعار مرتجلة على البديهة، ومن آداب وقصص وحكايات وأسمار ونوادر وفكاهات تشكل ثروة أدبية وفولكلورية رائعة في وصف بعض الطبقات لتلك العصور. كذلك تتحدث هذه المؤلفات عن نشأة فنون الموسيقا والغناء ووظائفهما الفنية والجمالية والعملية والروحية والدينية، ما قيل في ذلك من حكايات طريفة وآراء وأفكار ناضجة، أعني لاتزال صحيحة وفاعلة حتى اليوم، كما تسهب في وصف أنواع الموسيقا والألحان والغناء وآداب السماع، ووصف دقيق لأدوات الموسيقا وكيفية صناعتها والمواد المستخدمة فيها، وما يرتبط باختراعها من حكايات تعليلية طريفة.. كما عنيت هذه المؤلفات أيضاً بالحديث عن بعض الموضوعات ذات الصلة الوثيقة بالحرف والفنون الشعبية حديثاً يكشف في الوقت نفسه عن قيمتها المادية والاجتماعية والجمالية.. ونظراً لأن عالم الموسيقا والغناء ـ بمستوييه الشعبي والرسمي ـ كان يلقى عناية الخلفاء والسلاطين والطبقات الشعبية جميعاً، فقد كثرت المصنفات فيه إلى الحد الذي يفرد معه أبن النديم، في فهرسته باباً مستقلاً له هو «الفن الثالث» من المقالة الثالثة، في أخبار العلماء وما صنفوه من الكتب، ويحتوي على أخبار الندماء والجلساء والأدباء والمغنين والفادمة والصفاعنة والمضحكين وأسماء كتبهم» ومن الجدير بالذكر أن يشير ابن النديم في هذه المصنفات إلى **أول معجم في أسماء المغنين، مرتب على حروف المعجم**، وقد وضعه حسين بن موسى النصبي للخليفة

المتوكل، وسماه كتاب الأغاني على حروف المعجم (أنظر الفهرست ص ١٤٥) كذلك يشير ابن النديم (ص ١٥٦) إلى معجم مماثل عند حديثه عن قريص المغني، فيذكر أن له «كتاب صناعة الغناء وأخبار المغنين وذكر الأصوات التي غنى فيها على الحروف، ولم يتمه، والذي خرج منه ألف ورقة». وعلى كل حال فلا يزال تحت أيدينا مؤلفات أخرى كثيرة (قد عرف معظمها طريقه إلى النشر) منها على سبيل المثال لا الحصر: موسوعة الأغاني العظيمة للأصفهاني التي تعد من أعظم المصادر التراثية الغنية بالعناصر والمواد الفولكلورية في مشرق العالم الغربي ومغربه، في العصور الاسلامية وقبل الاسلامية على السواء. وللأصفهاني نفسه مجموعة مؤلفات أخرى مثل كتاب القيان، والمغنين، وكتاب الآماء الشعراء، وكتاب الغلمان والمغنين، وكتاب الحانات) وكتاب الغناء لابراهيم بن المهدي، وكتاب الأغاني الكبير لإسحاق بن ابراهيم الموصلي (ومن مؤلفاته أيضاً كتاب الرقص والزفن، وكتاب المنادمات، وكتاب النغم والايقاع، وكتاب قيان الحجاز، وكتاب منادمة الأخوان وتسامر الخلان) وكتاب العود والملاهي للمفضل بن سلمة، وكتاب اللهو والملاهي لابن خرداذبة (وله أيضاً كتاب أدب السماع وكتاب الندماء والجلساء) وكتاب النغم ليحي بن علي المنجم، وكتاب كمال أدب الغناء للحسن بن أحمد، وكتاب الموسيقا الكبير للفارابي وكتاب السماع لابن القيسراني، وكتاب المجمل في الموسيقا للرازي ورسالة الكندي في الموسيقا (وفيها وصف مفصل لممارسة العرب الموسيقا) ورسالة في الموسيقا لابن سينا، ورسالة السماع والغناء وأثرهما في النفس لأبي حيان التوحيدي (ضمن كتابه المقابسات) ورسائل ثابت بن كرة في الموسيقا (وتتضمن وصفاً دقيقاً لصناعة الآلات الموسيقية) ودرة التاج (في الموسيقا) للشيرازي، ورسالة في الموسيقا للطوسي، والكافي في الموسيقا للحسين بن زبله، والموشى أو الظرف والظرفاء للوشاء، وكتاب أدب النديم لكشاجم، والمحاسن والمساوي للبيهقي وكتاب الغناء والمغنين للمرزباني وكتاب المتظرفين والمتظرفات لجحظه (وله أيضاً كتاب أخبار الطنبوريين وكتاب طبقات المغنين لأبي أيوب المديني (وله أيضاً كتاب النغم والإيقاع، وكتاب أخبار ظرفاء المدينة، وكتاب قيان مكة وكتاب (قيان الحجاز) وكتاب اللهو والملاهي في الغناء والمغنين والندماء والمجالسة وأنواع الأخبار والملح للسرخسي (وله أيضاً كتاب الموسيقا الكبير وكتاب المدخل إلى علم الموسيقا).

ومن الكتب المجهولة المؤلف ـ وما أكثرها ـ كتاب الظراف، وكتاب مدح النديم، كتاب في أخبار الظراف والمتماجنين والمتظرفات، كتاب الطنز و اللهو، كتاب المديح في الولائم والدعوات والشراب، كتاب المتظرفين والمتظرفات ونوادر العلمان والخصيان وكتاب الحرقة، وكتاب الملح والمحتمين، وكتاب جامع الحماقات وأصل الرقاعات، وديوان الخلاعة، وكتاب النوادر والمضاحك، وكتاب ترويح الأرواح ومفتاح السروح والأفراح.

وتتجلى قيمة هذه المؤلفات جميعاً ـ ليس فقط في حقل الموسيقا والغناء، وإنما أيضاً فيما تتضمن من عناصر ومواد فولكلورية أخرى، ولاسيما المعنيين بدراسة الآداب الشعبي، وتاريخ الحضارة العربية الاسلامية.

خامس عشر: في فنون متنوعة

هذه طائفة أخرى من المصادر التراثية في مجموعة من الفنون المتنوعة التي تتعلق موضوعاتها بالمأثورات الشعبية ولاسيما في جانبها القولي أو الأدبي:

١٥/ ١ ـ في الحلى وأدوات الزينة والجواهر:

في كتاب الجواهر وصفاتها وفي أي بلد هي، وصفة الغواصين والتجار تأليف يحيى بن ماسويه (ت ٢٤٣ه) وكتاب الحلى لمحمد بن جعفر القزاز (ت ٤١٢ه) كتاب الذخائر والتحف لابن الزبير، نخبة الدهر في أحوال الجوهر لابن الأكفاني، وكتاب التلخيص في معرفة الأشياء لأبي هلال العسكري وكتاب الجماهر في معرفة الجواهر وآخر يحمل الأسم نفسه ولكنه منسوب للغزالي وكتاب فخر المشط على المرآة لابن الشاه الظاهري، وكتاب الحلى للنمري وكتاب الحلى (مجهول المؤلف) رسالة في الأحجار والخرز (مجهول المؤلف) رسالة في الأحجار الكريمة لأبيفانيوس. الدرة البيضاء في صناعة الياقوتة الحمراء (مجهول) رسالة في المعادن (مجهول المؤلف) أزهار الأفكار في خواص الأحجار للتيفاشي، قطف الأزهار في خصائص المعادن والأحجار لأحمد المغربي.

١٥/ ٢ ـ في العطور والطيب:

كتاب العطر للكندي، وله أيضاً كتاب كيمياء العطر، وكتاب العطر للشطرنجي، وكتاب العطر لابراهيم بن العباس، وكتاب العطر لحبيب العطار، كتاب العطر وأجناسه للمفضل بن سلمه، ومن الكتب المجهولة المؤلف كتاب

العطر، كتاب الطيب، كتاب العطر والتركيبات.

١٥/ ٣ ـ في التحف والهدايا:

معظم هذه الكتب التي جاءت تحت هذا العنوان مجهولة المؤلف وبعضها معروف ولكنه لايزال مخطوطاً، ومنها: كتاب الهدايا للمرزباني وكتاب الهدايا للجنديسابوري وكتاب التحف والهدايا للخالديين (تحقيق سامي الدهان).

١٥/ ٤ ـ في الطبيخ والحلوى:

كتاب الطبيخ لابراهيم بن المهدي، وآخر لابراهيم بن العباس الصولي وكتاب الطبيخ لابن الأنباري، والأنموذج فيما ورد في الفالوذج لمحمد بن طولون الدمشقي وكتاب الطبيخ لجحظه (وله أيضاً كتاب السكباج وفضائلها) وكتاب الطبيخ لابن خرداذبه وكتاب الخبز والزيتون، وكتاب حرب اللحم والسمك لابن الشاه الظاهري، ثم هذا الكتاب الفريد، كتاب الطبيخ، الذي كتبه السرخسي للمعتضد على الشهور والأيام.

١٥/ ٥ ـ في آداب المائدة:

كتاب أدب الموائد لابن خلاد الرامهرمزي، وكتاب المديح في الولائم والدعوات والشراب للمرزباني، وكتاب الضيفان (مجهول المؤلف) إلى جانب بعض الكتب والرسائل المستقلة التي كتبها فقهاء المسلمين فيما يخص آداب الطعام.

١٥/ ٦ ـ في المواسم والأعياد:

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لزين الدين الحنبلي، كتاب الأعياد وفضائل النوروز للصاحب بن عبّاد، كتاب رمضان للصولي، كتاب رمضان وما قيل فيه للخراز، كتاب رمضان لعلي بن هارون، وله أيضاً كتاب النوروز والمهرجان (وتتضمن هذه الكتب جانباً قولياً أدبياً يعني دارسي الأدب الشعبي).

١٥/ ٧ ـ في أصول التهاني:

وصول الأماني في أصول التهاني للسيوطي، وكتاب مختار الأغاني في الأخبار والتهاني لابن منظور، وغيرها (وهذه الكتب لها أيضاً قيمة أدبية).

١٥/ ٨ ـ في أيمان العرب (صيغ القسم أو الحلف):

كتاب أيمان العرب في الجاهلية لابراهيم بن عبد الله البجيرمي (ولهذه الصيغ دلالاتها الاجتماعية والدينية والشعبية والأدبية واللغوية).

١٥/ ٩ ـ في الأسماء والألقاب والكنى:

السامي في الأسامي للميداني. الكني والأسامي للدولابي، كتاب الكني والألقاب لعباس القمي، كتاب الأسماء والكنى والألقاب للبلخي وله كتاب أسامي الأشياء، كتاب الأسماء والكنى للمديني ومن الكتب التي تلقى الضوء أيضاً على هذا الموضوع كتاب المؤتلف المختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم للآمدي، وكتاب ألقاب الشعراء، وكتاب كنى الشعراء لابن حبيب. (ولهذه الكتب قيمة لغوية وأدبية أيضاً، تعني المهتمين بدراسة اللهجات والآداب الشعبية).

١٥/ ١٠ ـ في المعمرين والوصايا:

المعمرون، والوصايا، للسجستاني، كتاب المعمرين للهيثم بن عدى، الوصايا وحكم العرب والعجم للمرزباني.

١٥/ ١١ ـ في الشيب والخضاب:

الشيب وآدابه وفضل ألوانه والخضابات وترتيب مقدماته (مجهول المؤلف) ذم الشيب ومدح الشباب وما قيل في ذلك نثراً ونظماً (وينسب لابن حماد) وكتاب الشيب والخضاب لعبد الرحمن بن سعيد.

١٥/ ١٢ ـ في المراثي والتعازي:

التعازي والمراثي للمبرد، كتاب المراثي للمرزباني التعازي لعلي بن محمد المدائني، كتاب الرثاء والتعازي لابن خلاد الرامهرمزي، كتاب النوائح (مجهول المؤلف) ولهذه المؤلفات قيمة اجتماعية ولغوية وأدبية تعني دارسي الفولكلور.

١٥/ ١٣ ـ في أدب الزيارة، والاستنجاد بالمقبور:

زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور لابن تيمية، وكتاب التسليم والزيارة للمرزباني، والكواكب السيارة في ترتيب الزيارة (عادة ما يقصد بالزيارة هنا زيارة قبر الرسول عليه السلام).

١٥/ ١٤ ـ في العشق والعشاق:

كثيرة هي المؤلفات التي كتبها التراثيون عن عاطفة الحب وقد أشرنا إلى بعضها من قبل ـ في التراث القصصي ـ ولكن

كثيراً منها يتناول هذه العاطفة بالتحليل الدقيق، فيتحدث أصحابها عن ماهية الحب وعلاماته وأنواعه وآثاره في النفس وقبح المعصية وفضائل التعفف والعقبات التي تحول دون هذه العاطفة السامية (كالعقبات الاجتماعية كالعادات والتقاليد، والعقبات الاقتصادية مثل غلاء المهور والعقبات النفسية كالغيرة . . إلخ إلخ، فضلاً عما قيل في ذلك كله من شعر وأمثال وألغاز وحكايات وقصص، ومن هنا تتجلى القيمة الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والاقتصادية والأدبية الرائعة لهذه المؤلفات التي نذكر منها هنا على سبيل المثال، الكتب التالية:

طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم، مصارع العشاق للسراج، ديوان الصبابة لابن حجلة، والزهرة للأصفهاني، وتزيين الأسواق بتفضيل أشواق العشاق لداود الأنطاكي، وأخبار المتيمين للبلاذري وأخبار المتيمين للمرزباني، وكتاب ربيع المتيمّ في أخبار العشاق لابن خلاد الرامهرمزي، وروضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن قيم الجوزية، وأشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن للعتبي، وكتاب ذم الهوى لابن الجوزي، وكتاب المتيّمين المعصومين (مجهول المؤلف).

١٥/ ١٥ ـ في أخبار النساء:

أخبار النساء لابن قيم الجوزية، بلاغات النساء لطيفور، كتاب النساء للهيثم بن عدي، وله أيضاً كتاب مناكح الأشراف وأخبار النساء، نساء الخلفاء لابن الساعي، أشعار النساء للمرزباني، أخبار النساء لابن شاه الظاهري ومناكح أزواج العرب لابن الكلبي، وكتاب المناكح للواقدي، وكتاب الحرة والأمة لابن داود، وكتاب أخبار النساء لابن صاحب النعمان، وله أيضاً كتاب نشوة النهار في أخبار الجوار وكتاب المستظرف في أخبار الجواري للسيوطي، وكتاب النساء وماجاء فيهن من الخبر، ومحاسن ما قيل فيهن من الشعر والكلام الحسن لهارون بن علي والمرصع في الآباء والأمهات والأبناء والبنات لابن الأثير (تحقيق ابراهيم السامرّائي).

١٥/ ١٦ ـ في تدبير الحبالى وتربية الأطفال والصبيان وأحكام المولود:

كتاب تحفة المودود بأحكام المولود لابن قيم الجوزية، وكتاب سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار القيرواني، وكتاب تدبير الحبالي والأطفال والأجنة لابن يحيى البلدي، وله أيضاً رسالة في تدبير الأطفال والصبيان. وتلقي هذه الكتب وأمثالها كثيراً من الضوء على فترة الحمل ـ أجتماعياً ـ وعلى مرحلة الولادة والطفولة، وما يتعلق بها من عادات وتقاليد وآداب شعبية.

١٥/ ١٧ ـ في المرضى والزمنى من ذوي العاهات وأشعارهم وأمثالهم:

أهم الكتب في هذا الموضوع كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ وعنه نقلت الكتب التالية له، ومنها كتاب تاريخ الزمني والعرجان والمرضى والعميان لشبيب العصفري. وتكمن قيمة هذه الكتب في أمرين بالنسبة لدارسي الفولكلور، أنها تتضمن الأشعار والأمثال والألغاز والأقوال والكنى والعبارات الشعبية التي قيلت في هؤلاء المرضى من ذوي العاهات، والأمر الآخر أنها تتضمن الرؤية الاجتماعية والعادات والتقاليد ونظرة المجتمع إليهم والحرف والصناعات التي تمايزوا بها.

١٥/ ١٨ ـ في أخلاق العامة:

كتاب الملهي لأبي عقال الكاتب (في أخلاق العوام) كتاب نوادر أهل الشرفية ونوادر أوساط الناس ونوادر السلفة والوضعاء (مجهول المؤلف) كتاب مساوئ العوام وأخبار السفلة والأغتام للصيمري وله أيضاً كتاب دعوة العامة، وكتاب الراحة ومنافع العيارة، وكتاب فضل العربيات على الحضريات للمدائني، وكذلك رسالة في السالكين وطريف اعتقاد العامة للسرخسي، وكتاب الحمالين والحمالات (مجهول المؤلف) وكتاب الهمج والرعاع وأخلاق العوام (مجهول المؤلف) وكتاب السنن والآداب على مذاهب العامة لابن أبي الثلج، وكتاب شرى الرقيق وتقليب العبيد لابن عبدون (تحقيق عبد السلام هارون).

١٥/ ١٩ في الشعبذة وألعاب الحواة:

كثير من هذه الكتب التي وردت تحت العنوان السابق مجهولة المؤلف، ولاتزال مخطوطة، وقليل منها معروف المؤلف، ولم يقدر لي أن أقف على هذه المؤلفات، ومن ثم سأكتفي بوصف ابن النديم لها لبيان دلالاتها الشعبية، وأهم الكتب التي ذكرها، فيقول (ص ٣١٢) من الفهرست:

«أول من لعب بالشعبذة في الاسلام عبيد الكيس، وآخر يعرف بقطب الرحا، ولهما في ذلك عدة كتب منها كتاب

الشعبذة لعبيد الكيس، وكتاب الخفة والدك والقف لقطب الرحا، وكتاب بلع السيف والقضيب والحصى والسبج (الخرز) وأكل الصابون والزجاج والحيلة في ذلك، وكتاب المخرقة لعبيد الكيس، وآخر من رأينا ممن يلعب بالخفة منصور ابالعجب، ومات عن مائة وخمس وعشرة سنة وكان يقول «لعبت بين يدي المعتمد».

١٥/ ٢٠ فنون الشطرنج والنرد:

كتاب أنموذج القتال في نقل العوال لابن أبي حجلة التلمساني، والارجوزة الشطرنجية لأحمد الكيواني، وأرجوزة ابن الهبارية (في الشطرنج) ونزهة أرباب العقول في الشطرنج المنقول لأبي زكريا الحكيم، وكتاب الشطرنج للبلخي.

١٥/ ٢١ في أشعار الجن وأخبارهم:

هذه مجموعة من المؤلفات في أخبار الجن وأشعارهم وأنسابهم وطبائعهم وممالكهم وعلاقاتهم بعالم الأنس، معظمها مجهول المؤلف، كلها مخطوطة تقريباً، ولكنها قابعة في مكتباتنا تحت عنوانات متعددة مثل:

كتاب أخبار الجن، كتاب أشعار الجن، كتاب أخبار الجن والأنس، كتاب الجن المنسوب إلى ابن الكلبي، كتاب أخبار الجن المنسوب إلى لقيط المحاربي، أشعار الجن للمرزباني، كتاب أحاديث الجن والأنس المنسوب للحسن ابن محبوب، وأنساب الجن لاريوس الرومي وله أيضاً كتاب أولاد أبليس وتفرقهم في البلاد وما يختص به كل جنس منهم في العلل والأرواح، وكتاب طبائع الجن ومواليدهم للوهق. (ويبدو أن هذه الكتب مستلة من الكتب التي تحدثت عن الجن، مثل مروج الذهب للمسعودي، والحيوان للجاحظ).

١٥/ ٢٢ في تعبير الرؤيا:

كثيرة منها: تعبير الرؤيا لابن سيرين. الأوفاق للغزالي، الإشارة في تفسير العبارة لابراهيم الطولوني، وكتاب تعبير الرؤيا للحسن بن محبوب وكتاب الرؤيا لابن الشاه الظاهري، وألفية بن الوردي في تعبير المنامات وكتاب الأشارات في تفسير العبارات وتأويل الرؤيا المنامية للسالمي، وكتاب تعطير الآنام في تعبير المنام للنابلسي، كتاب تعبير الرؤيا لابن قتيبة، كتاب تعبير الرؤيا للكرماني، كتب تعبير الرؤيا على مذاهب أهل البيت (مجهولة المؤلف) ومن الجدير بالذكر أن تعبير الرؤيا كان علماً قائماً بذاته، وفيه دراسات ومصنّفات كثيرة ذكرها ابن خلدون في مقدمته (٣: ١٢١٥ - ١٢١٨).

والآن وبعد هذه الجولة (البانورامية) في مصادر التراث الفكري والحضاري المدون للعرب. هل يحق لنا أن نؤكد أخيراً الدعوة إلى قراءة التراث قراءة فولكلورية علمية ومنهجية، واعية، فاحصة ناقدة؟

وهل ما زلنا في حاجة إلى تأكيد جدواها العلمية والقومية؟

دار الآداب تقدم

دراسات إسلامية

سلسلة الاسلام الحضاري

- الاسلام والمجتمع العصري — د. صبحي الصالح
- ثورة العبيد في الإسلام — د. أحمد علبي
- ١٠ ثورات في الإسلام — د. علي حسني الخربوطلي
- فلسفة الإسلام في الإنسان — د. علي عيسى عثمان
- إنسانية الإسلام — ترجمة د. عفيف دمشقية
- كيف نفهم الإسلام — ترجمة د. عفيف دمشقية.